الفصل الثالث

موقف الخزرجيين من الإسلام في عصر الرسالة

١- دخول قبيلة الخزرج في الإسلام.

٢- تاريخ المدينة بعد دخول الإسلام.

٣- قبيلة الخزرج ودورها بعد الهجرة "الغزوات – السرايا – ظاهرة المنافقين – تاريخ قبيلة الخزرج من عام ١هـ حتى عام ١١هـ".

٤- وفاة الرسول ﷺ.

١- دخول قبيلة الخزرج في الإسلام

يمكن القول إن رسالة النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ، أحدثت أوسع وأعمق عملية تحول ثقافي عرفها الفكر العربي على الإطلاق، بل يمكن القول إن تلك الرسالة كانت بمثابة الثورة الثقافية الشاملة التي تناولت كافة أوجه الحياة القديمة بالتعديل والتطوير والإضافة والتنقيح، ليس في شبه الجزيرة العربية فقط، بل في ربوع العالم المختلفة. والمقصود بالثورة الثقافية هنا، حدوث تغير نوعي في العقل الإنساني في مجتمع ما، فالدين الإسلامي خاصة، هو ثورة ثقافية بكل ما تحمل هذه العبارة من أبعاد؛ فقد تسبب في تلك النقلة الكبرى التي أحدثها في العقل الإنساني العربي، عبر الرؤية الجديدة التي سادت العقل العربي، فبعد أن كان العربي لا يفكر إلا في نفسه أو في البطن أو القبيلة التي ينحدر منها فقط، جعله الإسلام ينظر من منظور أوسع وأشمل لأمور الحياة المختلفة.

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية تموج بكثير من الآراء والأفكار، والتي كانت بمثابة إرهاصات لظهور الإسلام وانتشاره، ولم تكن فكرة ظهور نبي جديد شائعة في يثرب فحسب، بل كانت منتشرة في اليمن والشام وفي أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العربية أيضًا؛ فقد ذُكر أن عبد المطلب بن هاشم لما وفد على سيف بن ذي يزن الحميري؛ لتهنئته بطرد الأحباش من جنوب غربي شبه جزيرة العرب وتحرير اليمن، قال سيف لعبد المطلب: "إني أجد في الكتاب المكتوب والعلم المخزون خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة للناس عامة، ولك خاصة"، وبَشَّره بميلاد رسول الله ﷺ قائلًا: "والبيت ذي الحُجُب إنك لجده يا عبد المطلب غير كذب، وإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره"(١).

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ١١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج١، ص ١٤٧.

ولقد ورد في قصة سلمان الفارسي أن راهب عمورية قال له: "لقد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل"(١)، وهذه هي صفات يثرب، كما كان يهود يثرب كلما اختلفوا مع بطون قبيلتي الأوس والخزرج، قالوا لهم: "إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظلّ زمانه، نَتَّبعه فنقتلكم معه"(٢).

وهكذا كانت جميع النبوءات التي يستمع لها أهل يثرب، ويتردد صداها في شبه الجزيرة العربية، تبوح بسطوع نجم يثرب وعلو كعبها، وارتباطها الوثيق بهذا النبي العربي الذي يبعث في آخر الزمان، يصدع بالحق، ويعود بالإنسانية إلى انتصار خطاب العقل ومنطق المعقول مرة أخرى، هذا النبي الذي يأتي بكلمات وقيم ومُثُل، ليست موجهة إلى ذلك الأعرابي في البادية بحد ذاته، بقدر ما وجهها الله للإنسانية جمعاء، على لسان ذلك النبي، ليس في شبه الجزيرة وحدها؛ بل في كل مكان من ربوع هذا العالم.

ولقد شَرَّف الله أهل قبيلة الخزرج بأن اختارهم ليكون لهم شرف السبق في الدفاع عن دينه، وفي نشر ذلك النور الذي أراده الله لهذا العالم، وفي حمل راية الإسلام؛ للوصول بها إلى ما أراد الله لها من نجاح وانتصار، حتى شقت تعاليم الإسلام طريقها شرقًا وغربًا، معلنة ميلاد نظام أخلاقي جديد، تستطيع الإنسانية أن تسير على هداه ما بقي لها من أيام.

ولقد كانت يثرب في أشد الحاجة لظهور هذا النبي، وكانت تتطلع إلى ميلاد نجمه وإشراقه في سمائها وهجرته إليها؛ فقد كانت الحروب الكثيرة التي قامت بين بطون الأوس والخزرج قد أنهكت كلا الطرفين، ووصلت بكل طرف منهما إلى اليقين بأن هذه الحروب ستؤدي إلى هلاك القبيلتين في النهاية، وإلى فرض اليهود لسيطرتهم على المدينة؛ خاصة وقد تعرضت قبيلة الخزرج - وهي الأكبر عددًا والأكثر قوة - إلى هزيمة نكراء في يوم بعاث؛ حيث انتصر الأوس وحلفاؤهم من اليهود على قبيلة الخزرج، وقد أدت هذه الحرب إلى اختلال التوازن في المدينة اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وأيضًا من الناحية

---

(١) محمد بن إسحاق: السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ج١، ص ١٣٧.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢.

الأمنية، واستنفدت هذه الحرب طاقات كل سكان المدينة من الأوس والخزرج، واليهود أيضًا[١].

كما كان الجانب الاقتصادي في المدينة مضطربًا أشد الاضطراب؛ بسبب زيادة السكان وقلة الموارد الغذائية وانعدام الأمن، بالإضافة للحرب المريرة التي انخرط فيها أهل يثرب، وبناء على ذلك تعرضت الملكية الزراعية لسيطرة كل طرف عليها لفترة عقب انتصاره؛ فأدى ذلك - بالضرورة - إلى عدم تفكير الناس في مشاريع زراعية طويلة المدى، يكون لها نتائج اقتصادية واضحة؛ فلقد ساد مبدأ الصحراء: "احتفظ بما يستطيع سلاحك المحافظة عليه"[٢].

ويمكننا القول إنه في الوقت الذي كان محمد ﷺ يبحث في مكة وخارجها عمن يؤمن به وبرسالته، ويستطيع أن يتولى حماية الدعوة الإسلامية الناشئة - كان أهل المدينة من العرب يبحثون عمن يوحد كلمتهم، ويقضي على فرقتهم، ويُقَرِّب بين وجهات نظرهم بعد أن أنهكتهم الحرب، وكادت أن تقضي على قوى القبيلتين، وعندما التقى الطرفان تلاقت الآمال، كلٌّ يبحث عن هدفه ويريد تحقيقه، والحقيقه أن يثرب كانت في حاجة إلى عنصر خارجي تجتمع عليه، فالنبي - بسلطته القائمة على الدين لا على الدم - يمكنه أن يعلو فوق الأعراق المتحاربة، والثارات التي كانت قد بلغت درجة كبيرة من السيطرة على حياة المدينة وقبائلها، وأن يكون حكمًا يستطيع إقرار القانون بها؛ خاصة وأن الرسول ﷺ جاء مسلحًا بالقرآن الذي يقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٣].

---

(١) و. مونتجمري وات: محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، وحسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ص ٢٧٩.

(٢) نفسه، ص ٢٨٠.

(٣)يونس:٤٧.

حادث الستة:

مكث رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي مجاز[١]، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه؛ حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به[٢]، فأبت كِنْدة، وكلب، وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة، وكان رسول الله ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده، وكان ممن رفض الإسلام قوم من بني عبد الأشهل من الأوس، أتوا يطلبون حلف قريش على قومهم من الخزرج، وكانوا بقيادة أبي الحَيْسر أنس بن رافع الأوسي، وكان ذلك قبل يوم بُعاث[٣].

ولقد كان أول من أسلم من يثرب - عند ابن سعد في طبقاته - أسعد بن زرارة من بني النجار، وذكوان بن عبد القيس من بني زريق، كانا قد خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، فأسلما، ولم يقربا عتبة، ورجعا إلى المدينة، وكانا أول من قَدِمَ إليها بالإسلام[٤]، وقد ذكر ابن سعد أن ابن إسحاق قال: "إن أسعد بن زرارة أسلم مع النفر الستة الذين سبقوا قومهم إلى الإسلام بالعقبة الأولى"[٥] . ويقال إن رافع بن مالك الزُّرقي، ومعاذ بن الحارث النجاري - المعروف بابن عفراء - كانا أول من أسلم ثم قدما المدينة، فأول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة كان مسجد بني زُرَيْق[٦].

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج١، ص ٣٠٦.

(٢) ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٣٦.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩ - ٢١.

(٤) ج١، ص ١٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢٠٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣٢؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٦.

(٥) كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦.

(٦) نفسه، ج١، ص ١٨٦.

وبصفة عامة، فإن أول المسلمين المعروفين بشكل محدد من أهل المدينة كانوا ستة شيوخ من الخزرج المقيمين بيثرب، أو سبعة عند ابن الأثير، وهم ثمانية عند ابن سعد[١]، وكان الأوس قد غلبوهم في يوم بعاث، فقابلهم الرسول ﷺ عند العقبة[٢]، ودعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم آيات القرآن، فآمنوا بالرسول وصدقوه[٣]، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من البعثة[٤]، وربما كان ذلك في سنة (٦٢٠م)[٥].

على أننا نلاحظ أن هؤلاء الستة كانوا يمثلون بطونًا ذات أهمية كبرى داخل القبيلة الخزرجية، بما تملكه هذه البطون من العدد والقوة والمنعة، فمن بني النجار ثم من بني مالك اثنان، أسعد بن زرارة بن عدس بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء، وقتل يوم بدر شهيدًا، ومن بني زُرَيْق رافع بن مالك بن العجلان الزُّرَقي[٦]، وهو أول من أسلم من الأنصار في قول ابن الكلبي[٧]، وكان له دور في غزوة أحد وقتل فيها شهيدًا.

كما كان هناك ثلاثة من بطون بني سلمة[٨]، وهم: قُطْبَة بن عامر بن حديدة من بني سواد بن غنم، وعُقْبة بن عامر بن نابئ من بني حرام بن كعب، وجابر بن عبد الله بن

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٣٩٥؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦.

(٢) **العقبة:** هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو صعب في صعوده، أما العقبة التي بويع فيها النبي ﷺ فهي موضع بين منى ومكة، وبينها وبين مكة نحو ميلين، ومنها تُرمى جمرة العقبة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٤.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢١، ٢٢؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب - ت)، ص ٥٩.

(٤) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج١، ص ٣٠٦؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ص ١٤٤.

(٥) و. مونتجمري وات: محمد في مكة، ص ٢٨٣.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢، ٢٣؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦.

(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٦٨.

(٨) السمهودي: المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٥.

رئاب من بني عُبَيْد[١]. ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت - وكان من القواقل - ويسقط جابر بن عبد الله[٢].

ولقد كانت هناك عدة أسباب في كون يثرب أول مكان خارج مكة يخرج إليه الإسلام، ويؤمن برسوله ﷺ، ويشكل خطرًا على مكة؛ فقد كان وثنيو المدينة أكثر استعدادًا لتقبل الإسلام وفهم معناه من وثنيي مكة؛ لأن اليهود كانوا قد هيأوا أهل يثرب لفكرة الديانة السماوية؛ لأنهم أهل كتاب، كما كان موت أشهر رؤساء يثرب من الأوس والخزرج في يوم بعاث، وتولي الزعماء الثانويين مقاليد الأمور سببًا في جعلهم أميل للطاعة، وأسهل انقيادًا[٣]؛ حتى إن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "كان يوم بُعاث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ، فقَدِمَ رسول الله المدينة وقد افترق ملؤهم، وقتلت سُرواتهم وجُرحوا "[٤].

ولقد أدى التنافس والتفاخر القبلي بين الحَيَّين - الأوس والخزرج - إلى قطع الخزرج الطريق على إخوانهم من الأوس، وإعلان استعدادهم لمحالفة الرسول ﷺ، ولهذا فإن الخزرج حين تشاوروا فيما بينهم قال بعضهم لبعض: "تعلمون أنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه "[٥].

على أن الخزرجيين الستة قد حللوا موقف يثرب وسكانها من الإسلام، وكأنهم

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦؛ أبو الفتح محمد بن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار التراث، المدينة المنورة، السعودية، (ب - ت)، ج١، ص ٢٦٣.

(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ج١، ص١٤١.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف: الدولة الإسلامية الأولى، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص٣٠ (حديث رقم: ٣٨٤٦).

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٣٩٤.

يتشككون في مدى قبول المدينة له، فقالوا لرسول الله ﷺ: "إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك"، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم(١).

ويدل هذا القول على إيمان أهل الخزرج بأن مشكلات المدينة لا تحل إلا من خارجها، على يد رجل يعلو فوق صراعات المدينة القبلية، ومشاكلها السياسية، ويكون له القبول فيها.

وهناك رأي لجرجي زيدان، يجب أن يذكر؛ فقد قال: "ولعل السبب في سرعة انتشار الإسلام في يثرب، كثرة من في المدينة من اليهود، وهم أهل كتاب، يعتقدون الوحي، ويدركون معنى النبوة، وليس فيهم من يخاف على تجارته إذا بطلت عبادة الأصنام، بل هم يفضلون إبطالها؛ لتسقط مكة وتنهض مدينتهم"(٢).

ويفهم من قول هذا الكاتب أن أغلب الذين استجابوا للدعوة الإسلامية كانوا من يهود المدينة، وهذا غير صحيح؛ فإن اليهود كانوا أقل استجابة للإسلام من بين سكان المدينة، وسرعان ما أصبحوا أول حجر عثرة في سبيل انتشار الإسلام في المدينة، وبعد انتشاره كانوا أول من حاك المؤامرات ضده؛ في حين أن عرب المدينة -من أوس وخزرج- كانوا هم الدعامة الأساسية لقيام الدعوة الإسلامية وانتشارها.

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٣٤؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ج١، ص ٢٦٢؛ الإمام عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، ج٤، ص ٧١.

(٢) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص ٤٠؛ جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري، (رسالة دكتوراه منشورة)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م، ص ٦٤.

بيعة العقبة الأولى:

بدأت دائرة الإيمان في الاتساع، وانتشر الإسلام في يثرب بسرعة كبيرة؛ حتى قيل إنه لم تبق دار من دور الأنصار[١] إلا فيها ذكر لرسول الله ﷺ، وبها رجال ونساء مسلمون، بعد أن كانوا ستة.

وفي موسم الحج التالي - في العام الثاني عشر من النبوة - قدم إلى موسم الحج اثنا عشر رجلًا؛ عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، منهم خمسة من الستة الذين سبقوا، عدا جابر بن عبد الله بن رئاب، وهم: أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، وهؤلاء جميعًا من بني النجار، ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس، وهما من بني زريق، وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة - وهو حليف لهم من بَلِيّ، إحدى بطون قُضاعة[٢]، ويُكنى أبا عبد الرحمن - وهما من بني عوف من القواقل، وقطبة بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابئ، وهما من بني سلمة، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك

---

(١) الأنصار: بدأ هذا الاسم يظهر بعد بيعتي العقبة، وعُرف به المؤمنون من أهل المدينة، الذين انتصروا للرسول ﷺ، وهبوا للدفاع عن الدين الجديد، ولقد ورد في البخاري أن أنس بن مالك سئل عن هذا الاسم فقال: "بل سمانا الله به"، فكانوا يفتخرون بذلك، ولقد شرفهم رسول الله ﷺ حين قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"، وقال أيضًا: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار"؛ كما اعترف رسول الله بفضلهم، فقال: "هم الذين آووني ونصروني وآزروني وحموني"، وأوصى بهم رسول الله من يأتي بعده من ولاة الأمة، فقال: "أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"؛ كما شرفهم الله أيضًا في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩]، ولقد انتشرت تلك اللفظة فصارت وكأنها نسب أو علم من أعلام القبائل، حتى إننا بعد قرون قليلة نلاحظ انتشار لقب الأنصاري في العائلات بدلًا من الأوسي أو الخزرجي؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ج٥، ص ٣٠ - ٣٢؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، ج١، ص ٦٠؛ أبو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل، دار الراية، الرياض، السعودية، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ج٣، ص ٢٠٧.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٣٤٨.

العجلاني، وهو من بني سالم بن عوف، ثم من بني العجلان؛ فهؤلاء العشرة من الخزرج[١] بايعوا الرسول بيعة النساء.

وأرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير؛ يدعوهم للإسلام ويعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، فحل على أسعد بن زرارة الخزرجي ضيفًا، وانطلق من بيته يدعو للدين الجديد، ولقد أسلم على يدي مصعب وأسعد بن زرارة عدد كبير من أهل يثرب من الأوس والخزرج، وأسلم من بني عبد الأشهل - بطن من الأوس - سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ولقد كان لإسلامهما أثر عظيم في انتشار الإسلام بيثرب[٢].

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام التالي - أي العام الثالث عشر من النبوة، الموافق عام (٦٢٢م) [٣] - اجتمع مسلمو يثرب قبل موسم الحج، فقالوا: "حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف"[٤]، فخرج في موسم الحج هذا العام خمسمائة نفر من أهل يثرب[٥]، منهم سبعون رجلًا وامرأتان من المسلمين[٦]، وقال ابن سعد: "يزيدون رجلًا أو رجلين"[٧]، وقال ابن إسحاق: "ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان"[٨]، وأورد الحاكم: "خمسة وسبعون

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٣، ٢٤؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٦٨.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٦٠.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٤؛ .مونتجمري وات: محمد في مكة، ص ٢٨٤؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ١٤٥.

(٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١م، ج٣، ص ٣٢٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٧٧.

(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٦.

(٦) نفسه، ج١، ص ٤٠٧؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٣٨.

(٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٨.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م، ص١١٢؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص١٤٣.

نفسًا"[١]، منهم من الأوس أحد عشر رجلًا[٢]، واثنان وستون رجلًا من الخزرج، منهم أربعة نفرٍ من حلفاء الخزرج[٣].

وقد كان من بطون بني النجار أحد عشر رجلًا، منهم من بني الخزرج بن حارثة ستة نفر، ومن بني مبذول رجل واحد، واثنان من بني حُدَيْلة، واثنان من بني مازن، واختار لهم رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة نقيبًا، وهو أحد الستة، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين، وقد مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يبنى، فأصبح رسول الله ﷺ نقيبًا لبني النجار[٤].

ولقد كان من بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر، واختار لهم رسول الله ﷺ نقيبين؛ أحدهما سعد بن الربيع، وكان كاتبًا في الجاهلية[٥]، وشهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا[٦]، وعبد الله بن رواحة، وقد شهد المشاهد كلها، وكان نقيبًا، وهو أحد الشعراء الذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ، وقتل يوم مؤتة شهيدًا[٧].

ومن بني زريق أربعة نفر، وكان نقيبهم رافع بن مالك بن العجلان، أحد الستة، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين، قتل يوم أحد شهيدًا[٨]، ومن بني بياضة ثلاثة نفر، ولم يعين

---

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١، ص١٤٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣١٧.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي، ج٢، ص ٣٧.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٦.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٥٣؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٠٦.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٥٣.

(٦) نفسه، ج١، ص ٣٥٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٣٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص ٧٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٣٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٢٥؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٦.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٤.

لهم رسول الله ﷺ نقيبًا، والغالب أن نقيبهم هو رافع بن مالك؛ لأن بني زريق وبني بياضة أخوان، من ولد غَضْب بن جُشَم بن الخزرج[١].

ومن بني سَلِمَة وبطونها ثمانية وعشرون رجلًا، فمن بني سلمة بن سعد بن تزيد بن جشم بن الخزرج، أحد عشر رجلًا، ومن بني سواد خمسة نفر، ومن بني نابي بن عمرو بن سواد خمسة نفرٍ، ومن بني حرام بن كعب سبعة نفرٍ، مضافًا إليهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من بني أُدَيّ، وادَّعتْهُ بنو سلمة؛ لأنه كان أخًا لسهل بن محمد بن الجد بن قيس لأمه؛ فعُدَّ منهم، وكان لهم نقيبان؛ أحدهما: البراء بن معرور، وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلث ماله[٢]، والآخر: عبد الله بن عمرو بن حرام، شهد العقبة وبدرًا، وكان نقيبًا، وكان أول قتيل من المسلمين يوم أحد[٣].

ومن بني عوف بن الخزرج بطنان؛ بنو سالم، وهم القواقل، ومنهم أربعة نفر، ونقيبهم عبادة بن الصامت بن قيس، وبنو الحُبْلَى، ومنهم رجلان. ومن بطون كعب بن الخزرج رجلان؛ أحدهما: سعد بن عبادة بن دُليم، من بني طريف بن الخزرج بن ساعدة، وكان نقيبًا لبني ساعدة، والآخر: المنذر بن عمرو بن خنيس، من بني ثعلبة بن الخزرج أخي طريف، كان نقيبًا، وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة[٤].

أما المرأتان فإحداهما: أمُّ عمارة نُسَيْبَة بنت كعب بن عمرو بن عوف، من بني مازن بن النجار، والأخرى: أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن سواد، من بني سَلِمَة[٥].

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير ،ج ١، ص ٤٢١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٥.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٥٧٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١١٠.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٤١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص١١٣؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٣.

ولقد اجتمع القوم بالعقبة أوسط أيام التشريق مع رسول الله ﷺ، على أنا نلاحظ أن هناك وضوحًا في الرؤية لكلا طرفي البيعة؛ فرسول الله ﷺ حدد ما يريد من هذه البيعة بكل دقة، فقال: "وعلى أن تنصروني إذا قَدِمْت عليكم يثرب، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم"، وحدد لهم الجزاء فقال: "ولكم الجنة "[١]؛ في حين أننا نجد الأنصار - أوسًا وخزرجًا - أشد اهتمامًا ببنود البيعة وفهمًا لها، فهم يعلمون أن حلفهم مع رسول الله ﷺ يُعدّ خروجًا على إجماع العرب، ووقوفًا صريحًا ضد مصالح قريش، ونفهم ذلك من حديث العباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي؛ حيث يقول: "يا معشر الخزرج، إنكم تبايعون هذا الرجل على حرب الأحمر والأسود من الناس"[٢]، فهم يفهمون أنهم بهذه البيعة يضربون التوازن القبلي في يثرب، ويغيرون أحلافًا ظلت أمدًا تحكم الصراع اليثربي، وتُوجِّهه حيث تعلو مصالحها، فنجد أبا الهيثم بن التيهان الأوسي[٣] يعترض الحديث، ويقول: "يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم "[٤].

وهكذا حددت بيعة العقبة الثانية وضع النبي ﷺ بين أهل يثرب؛ فقد اعتبرته واحدًا منهم، دمه كدمهم وحكمه كحكمهم، وقضت - أيضًا - بخروج النبي من مكة، فانتقلت تبعية النبي من مكة إلى يثرب[٥]، على أنه - وفي فورة الحماسة - فقد عرض المبايعون أن يميلوا بأسيافهم على كفار مكة، فدل ذلك على صدق إيمانهم برسول الله ﷺ، والاستهانة بالموت؛ لإعلاء كلمة الإسلام[٦].

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٩؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣١.

(٣) كان يتكلم بلسان القوم المجتمعين أوسًا وخزرجًا، لا بلسان الأوس فقط.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٢٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٨١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص٦٢.

(٦) الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ١٩٠.

ومن النظر إلى هذه البيعة نجدها "هي الميثاق الفعلي لقيام دولة المدينة؛ إذ فوق كونها معاهدة على الإيمان بالله ورسوله، فهي معاهدة سياسية وعسكرية"[١]، فقد كان لهذه المعاهدة أكبر الأثر في النجاح الذي حققه الرسول ﷺ في إنشاء دولته بالمدينة.

وقد كان من الأنصار مهاجرون؛ لأن المدينة كانت دار شرك، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وظلوا بمكة مع رسول الله حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة؛ فهم مهاجرون أنصاريون[٢]، وهم: ذكوان بن عبد قيس من بني زريق، وعُقْبة بن وهب بن كلدة من غطفان، حليف لبني سالم بن غنم بن الخزرج، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة من بني سالم بن عوف، ثم من بني العجلان، وزياد بن لبيد من بني بياضة[٣].

***

(١) محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ١٤٦.

(٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، ج٤، ص ١٦٣.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٩٣؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٣٠؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٣١٠.

٢- تاريخ المدينة بعد دخول قبيلة الخزرج في الإسلام

حادث الهجرة:

كانت بيعة العقبة الثانية بمثابة الضربة القاصمة التي وجهها رسول الله ﷺ إلى خصومه في مكة، ولقد شعر المكيُّون بخطورة الموقف بعد معرفتهم نبأ البيعة، فتحركوا وقبضوا على بعض من بايعوا، وكان ممن قبضوا عليه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وهما من بني ساعدة، وكلاهما كان نقيبًا، ولكن المنذر استطاع أن يهرب منهم، وأما سعد بن عبادة فسرعان ما أطلقوا سراحه، بعد أن تذكروا سيطرة يثرب على طريق التجارة إلى الشام(١).

ولقد كانت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب إحياء للعلاقات القديمة بين بني هاشم وبني النجار؛ فقد تزوج هاشم بن عبد مناف، وهو الجد الأعلى للرسول ﷺ من سلمى بنت عمرو إحدى بنات بني عدي بن النجار، وأنجب منها شيبة (عبد المطلب) الجد المباشر للرسول ﷺ (٢)، بل لقد تدخل بنو النجار في الصراعات المكية؛ فقد اغتصب نوفل عم عبد المطلب بن هاشم بعض ميراثه، فاستنهض قومه لمساعدته فلم ينهض معه أحد منهم، وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك، فلجأ إلى أخواله من بني النجار لنصرته، فخرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين راكبًا، فهدد نوفل قائلًا: "لتردن على ابن أختنا ما أخذت أو لأملأن منك السيف"، فرد نوفل ما أخذه(٣).

كما أن عبد الله بن عبد المطلب توفي بيثرب وهو قافل من غزة، ودفن في دار النابغة، وقد أتت السيدة آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ لزيارة أخواله من بني النجار، ونزلت

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٣.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص١٣٠؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٧٢، ٧٣؛ علي أكبر فياض: تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص ٦١.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ج٢، ص ٢٤٩؛ علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣، ص ١٠٢.

به دار النابغة، فكان النبي ﷺ يذكر أمورًا كانت في مقامه ذلك، فيشير إلى دار النابغة ويقول: "ههنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار"(١).

ومن هنا فإن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، لم تكن قفزة إلى المجهول؛ بل كانت هجرة إلى ما سُبق معرفته واختباره وسُبِرَت أغواره. ولقد كانت المدينة على أهبة الاستعداد لاستقبال ذلك الوافد الجديد، الذي سيكون على يديه حل صراعاتها القبلية وأزماتها الداخلية.

ولقد أمر رسول الله ﷺ مسلمي مكة بالهجرة، فلما رأت قريش أن المسلمين قد توجهوا إلى المدينة، وقد دخل أهلها في الإسلام، قالوا: "هذا شرٌ شاغل لا يطاق"، فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ الذي كان قد قرر الهجرة(٢)، ونفذ أمره بعد العقبة بشهرين وليالي عند السمهودي(٣)، وبثلاثة أشهر أو قريبا منها عند الحاكم(٤).

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كان أول ما فعله الرسول ﷺ بعد نزوله دار أبي أيوب خالد بن زيد الخزرجي - وبعد أن بنى مسجده الشريف - هو الشروع في بناء الدولة، وتوحيد طوائف يثرب المتناحرة من الأوس والخزرج واليهود، بالإضافة للطائفة الجديدة المهاجرة إليها من مكة، فلجأ رسول الله إلى المؤاخاة، والمؤاخاة تسمية إسلامية للنظام العربي القديم، وهو نظام الحِلف(٥).

وأجمعت الروايات على أنها وقعت في السنة الأولى للهجرة، وقد حددها ابن عبد البر بخمسة أشهر بعد الهجرة(٦)، أما ابن سعد فلم يحدد لها تاريخًا، وإنما قال: "كانت بعد

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج١، ص ١٢٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٢٢٩؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٢؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص٤٠.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤، ٥٥؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٧٩.

(٣) وفاء الوفا، ج١، ص ٤١٧.

(٤) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص ١٥٧.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف: الدولة الإسلامية الأولى، ص ٦٨.

(٦) الاستيعاب، ص ٨٨.

الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى"[١]، وكان إعلان هذا التشريع في دار أنس بن مالك الخزرجي[٢]، وقد آخى رسول الله ﷺ أولًا بين المهاجرين بعضهم بعضًا، ثم آخى بين الأنصار - أوسًا وخزرجًا - وكانت الخطوة الثالثة أن آخى بين المهاجرين والأنصار[٣]، وكانوا تسعين رجلًا، خمسة وأربعون من المهاجرين ومثلهم من الأنصار، ويقال كانوا مائة[٤]، وهكذا نجح رسول الله ﷺ في تأسيس مجتمع المدينة الجديد على أسس من الروابط الدينية بدلًا من الروابط العرقية والقبلية.

ويجد الباحث أن المؤاخاة قد راعت العوامل النفسية والعلمية، وتوخت تقارب المستوى الاجتماعي والفكري بين المتآخيين؛ حتى تتوفر لها أسباب النجاح، ومن ذلك المؤاخاة بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل؛ فكلاهما كان يهتم بالعلم، ولقد عُدّا من فقهاء الإسلام وعلمائه، فقيل عن جعفر بن أبي طالب: "إنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ"، وقال النبي ﷺ عن معاذ: "يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة إمام العلماء"[٥]، وقال عنه صاحب الإصابة: "الإمام المُقَدَّم في علم الحلال والحرام"[٦].

كما كان سعيد بن زيد بن عمرو، وأبيّ بن كعب متكافئين من الناحية العلمية، فسعيد ابن زيد كان شديد الاهتمام بعلم الحديث، وله رواية، وهو أحد العشرة المبشرين

---

(١) كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ٢٠٤.

(٢) نفسه، ج١، ص ٢٠٥؛ أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٧٥.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٨، ٦٩؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول في المدينة، ص ١٦٥؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٧٨.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٥٣.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٤٨.

(٦) نفسه، ج٦ ص١٠٦؛ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ج٧، ص ٢٥٨.

بالجنة[١]، وكان أبي بن كعب سيد القراء، وكان يكتب في الجاهلية، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، وقال عمر يوم موته: "اليوم مات سيد المسلمين"[٢].

الوثيقة[٣]:

بعد أن استقر الرسول ﷺ بالمدينة، أراد أن يحدد علاقات السكان بها؛ حتى يستطيع أن يقيم قانونًا يمكن تطبيقه على جميع من بها؛ حتى تَسْلَم المدينة من نار التناحر الداخلي الذي طالما عانت منه، فقام رسول الله ﷺ بكتابة صحيفة تعتبر أولى الوثائق النبوية في المدينة، وأيضًا كانت أول دستور إسلامي بالمدينة، يقرر بوضوح تام مبادئ المسئولية السياسية والاجتماعية بين أفراد الجماعة الإسلامية الناشئة.

ولقد استطاع الرسول ﷺ في بنود هذه الوثيقة أن يُحيد مبدأ العصبية القبلية، بل وكاد أن يقضي عليه بين أفراد الدولة الجديدة؛ ليحل محله رابط جديد، هو رابط الأخوة في الدين، ويعلق المستشرق الأوربي يوليوس فلهاوزن على ذلك قائلا: "إن جوهر الدعوة

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٧٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦١.

(٣) كُتبت الوثيقة النبوية بأمر النبي لأهل المدينة بعد هجرته، وأوردت كتب السنة مقتطفات منها، ولهذه الوثيقة طرق عدة، وقد ذكرتها بعض المصادر كاملة، وبعض المصادر اقتصرت على جزء أو أجزاء منها، ويعتبر محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) أقدم من أورد الوثيقة كاملة؛ لكنه أوردها دون إسناد، وقد صرح بنقلها عنه كل من: ابن سيد الناس، وابن كثير، فوردت عندهما من دون إسناد أيضًا؛ لكن ابن سيد الناس بعد أن أنهى ذكر الوثيقة ذكر إسناد ابن أبي خيثمة لها، في حين أن محمد حميد الله ذكر أن الوثيقة وردت في مخطوط بوردور التركي لكتاب الأموال لابن زنجويه (ت ٢٤٧هـ)، الذي أوردها من طريق الزهري؛ كما أوردها أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) في كتابه الأموال عن طريق الليث بن سعد عن عُقيل عن الزهري. (ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦، ٦٧؛ أبوعبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج ١، ص ٣٠٧؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق شاكر فياض، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ج٢، ص ٤٦٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج١، ص ٣٢٠؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٥٧؛ جاسم محمد راشد: الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة الصحابة، الإمارات، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ٤٤، ٤٥).

المحمدية كان في إدخال مبدأ الخضوع لسلطة مركزية في مجتمع شبه الجزيرة البدوي، من خلال التسليم لسلطة واحدة هي سلطة الله"[١].

وقد لاحظ (مونتجمري وات) أن المادة الثانية من الوثيقة التي تقول: "إنهم أمة واحدة من دون الناس"[٢] تكاد أن تكون موجهة للقضاء على فكرة القبيلة كسبب وحيد للوحدة بين بعض الأفراد في شبه جزيرة العرب؛ حيث استخدمت الوثيقة كلمة (أُمَّة) وصفًا رسميًّا للمتحالفين بدلًا من كلمة (قوم)، التي غالبًا ما تعني قبيلة، أو مجموعة لا تربطها سوى صلة الدم، وعلى هذا فاستخدام هذه الكلمة وصفًا رسميًّا في دستور المدينة مسألة جديرة بالملاحظة، فالمؤمنون من قريش ويثرب ومن آمن معهم صاروا جميعًا أمة واحدة[٣].

ولقد شملت الوثيقة جميع البطون الخزرجية تقريبًا، على الرغم من أنه لم تذكر كلمة (خزرج) في نص ابن إسحاق[٤]، وذكرت الكلمة مرة واحدة عند ابن زنجويه؛ فقد قال: "وبنو الخزرج على ربعاتهم"، ويقصد بها بنو الحارث بن الخزرج[٥].

ولقد وهم ولفنسون - وكثير من المستشرقين - عندما بحثوا في الوثيقة عن أسماء البطون الأوسية والخزرجية الكبيرة، وعن أسماء القبائل اليهودية الكبيرة مثل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فلم يجدوها، يقول ولفنسون: "ولكن الذي يتأمل في هذه الصحيفة يعجب؛ إذ لا يجد للبطون الكبيرة من الأوس والخزرج وبني قينقاع ذكرًا فيها، فكيف أمكن أن يعقد النبي عهودًا مع البطون الصغيرة دون الكبيرة منها"[٦]، ويرى المؤلف أن ولفنسون لم يلاحظ أن جميع البطون الخزرجية التي تعاقد معها رسول الله

---

(١) نقلًا عن: أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان والملك، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ص١٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦.

(٣) محمد في مكة، ص ٢٩٦.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٦.

(٥) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج٢، ص ٤٦٧.

(٦) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٢٠.

ﷺ ذُكرت تقريبًا؛ لأن الوثيقة تناولت الأصول العليا للبطون، لا أسماء البطون الصغيرة المتفرعة، عدا بني ساعدة فذكر اسم البطن، ولم يذكر الأصل؛ لأنها الفرع الوحيد لبني كعب بن الخزرج.

وذُكر ذلك في الفقرات ٤، ٥، ٦، ٧، ٨. فمثلًا قالت الفقرة (٤) من الوثيقة: "وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[١]، ويقصد بها: (بنو سالم، وبنو غنم، وبنو الحبلى) ، وجاء في الفقرة (٥): "وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٢]، ويقصد بها (بنو خُدْرة، وبنو خُدْارَة) ، وجاء في الفقرة (٦): "وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٣]، وهي بطن كبير متفرع من كعب بن الخزرج، وجاء في الفقرة (٧): "وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٤]، ويُقصد ببني جُشَم: (بنو بَيَاضَة، وبنو زُرَيْق، وبنو سَلِمَة)، وجاء في الفقرة (٨): "وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٥]، ويقصد ببني النجار: البطون التي تنحدر منها (كبني حُدَيلة، وبني مَغَالة، وبني مبذُول، وبني مَازن، وبني دِينار، وبني عَدِي).

كما نلاحظ أنه لم يذكر من الأوس سوى ثلاثة بطون، هم: بنو عمرو بن عوف (وهو غير عمرو بن عوف من الخزرج)، وبنو النبيت، وبنو الأوس؛ لأن باقي البطون الأوسية تأخر إسلامها[٦]، كما أطلقت الوثيقة على المهاجرين لقب المسلمين من قريش، ولم يتم تحديد من أي قريش هم. وقد تناولت البنود من (٢٥) إلى (٣١) تحديد العلاقة مع المتهودين من الأوس والخزرج، والمحالفين لهم، وقد نسبتهم البنود إلى عشائرهم العربية، وأقرت حلفهم مع المسلمين، وحددت ما لهم وما عليهم، فلقد جاء فيها: "وإن يهود بني

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٥٩، بند رقم (٤)؛ ناصر السيد: تاريخ يهود يثرب وخيبر (الغزوات والصراع)، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ص٥٤.

(٢) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٥).

(٣) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٦).

(٤) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٧).

(٥) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٨).

(٦) ابن هشام، نفسه، ج٢، ص ٦٦.

عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"[١]، ثم ذكرت الوثيقة اليهود المحالفين للأصول الخمس الكبرى للخزرج[٢].

ولقد قاست الوثيقة على بني عوف - من الأوس - باقي البطون، فجاء فيها: "وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف[٣]، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف[٤]، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف[٥]، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف[٦]"؛ فدل ذلك على أن هذه البطون الخزرجية كان فيها مَن تهود قبل الإسلام، وهكذا حددت الوثيقة حقوق كل من اشترك فيها، وبينت ما عليه من واجبات، سواء أكان من العرب أم من اليهود.

***

(١) سيرة النبي، ج٢، ص ٦٧، محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٦١، بند رقم (٢٥).

(٢) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص ١٢٧.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٧، محمد حميد الله: المرجع السابق، ص ٦١، بند رقم (٢٦).

(٤) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٧).

(٥) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٨).

(٦) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٩).

٣- قبيلة الخزرج ودورهم بعد الهجرة حتى وفاة الرسول ﷺ

أولاً: السرايا[١]:

كان للصحابة الخزرجيين دور عظيم في الغزوات، وكان لهم دور - أيضًا - في السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ، وقد كانت السرايا الأولى التي بعثها الرسول من المدينة لا تضم أحدًا من الأنصار؛ طبقًا لبيعة العقبة التي قالوا فيها لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا"، فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه[٢].

ولم يشترك الصحابة الخزرجيون في السرايا التي كانت قبل غزوة بدر، وكان أول اشتراك فعلي لأحد الخزرج، اشتراك زيد بن الدَّثِنَّة - أخي بني بياضة - في سرية الرجيع، وتم قتل من في السرية، وأُسر زيد بن الدثنة وبيع في مكة، فقتلوه بقتلاهم في بدر[٣].

سرية بئر معونة:

تعرف هذه السرية بسرية القُرَّاء[٤]، وكان رسول الله ﷺ قد بعث سبعين، وقيل أربعين من خيار الأنصار يُسَمَّون بالقراء؛ لدعوة أهل نجد للإسلام، وهم في جوار أبي براء عامر بن مالك، سيد بني عامر، وجعل رسول الله المنذر بن عمرو الخزرجي الساعدي على السرية، فتعرض لهذه السرية عامر بن الطفيل، وقتل من فيها، ومنهم المنذر ابن عمرو الساعدي، وحرام وسليم ابنا ملحان، من بني عدي بن النجار، وغيرهم من

---

(١) **السرايا:** مفردها سرية، وهي الطائفة أو القطعة من الجيش، تخرج منه وتعود إليه، وهي من خمسة إلى خمسمائة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١، ص ١٦٧٠.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٠.

(٣) نفسه، ج٣، ص ٨٣.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص ٧٣؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٥٢.

الخزرج كثير، وأصيب كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار، فعاش حتى قتل يوم الخندق[١].

سرية قتل سلام بن أبي الحقيق بخيبر:

يقول الزُّهري - في رواية عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: "إن مما صنع الله لنبيه ﷺ أن هذين الحيَّين من الأنصار - الأوس والخزرج - كانا يتصاولان في الإسلام تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئًا، إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون به أبدًا، فضلًا علينا في الإسلام، فإذا صنعت الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك" .. فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف، الذي كان يقف ضد الإسلام ورسوله، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل أبي رافع سلام بن أبي الْحُقَيْق، وكان أبو رافع ممن أَلَّبَ الأحزاب في غزوة الخندق، ولم يقتل مع بني قريظة كحييّ بن أخطب، فانتدب رسول الله ﷺ خمسة من الخزرج، كلهم من بني سَلِمَة، وهم: عبد الله بن عتيك - وكان أمير القوم - وعبد الله بن أُنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود[٢]، حليف لهم من أسلم[٣].

وقد اختلفت الروايات في كيفية قتل أبي رافع؛ فالأولى: رواية الزُّهري في مغازيه، وابن سعد في طبقاته، وابن سيد الناس في عيون الأثر، وجاء فيها أن الخمسة دخلوا عليه في منزله الذي بحصنه، وظلوا يضربونه بسيوفهم حتى قام عبد الله بن أُنَيْس فاتكأ بسيفه على بطنه، فأنفذه إلى الفراش[٤].

وأمَّا الرواية الثانية؛ فهي رواية البخاري في الصحيح، وجاء فيها: أن عبد الله بن عَتِيك دخل عليه منفردًا، وكان نائمًا، فضربه بالسيف فلم يغن شيئًا، فوضع السيف في

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٩٣؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٥٣.

(٢) الزهري: المغازي النبوية، ص١١٣؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٩٦.

(٤) الزهري، المصدر السابق، ص ١١٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٨؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ١٢٠.

بطنه حتى أنفذه من ظهره، ثم عاد القوم إلى المدينة مستبشري الوجوه بعد نجاح المهمة وتنفيذ أمر رسول الله ﷺ[١].

سرية عبد الله بن رواحة لقتل يُسَيْر بن رزام بخيبر ٦هـ:

بعد أن قتلت بنو سَلِمَة أبا رافع بن أبي الحقيق، وَلَّى أهل خيبر يُسَيْر بن رِزَام، فسار في غطفان وغيرها؛ يجمعهم لحرب الرسول ﷺ، ويحرضهم على حرب المسلمين، فلما علم رسول الله ﷺ أرسل عبد الله بن رواحة - وكان نقيب بَني الْحارث بن الخزرج - في ثلاثة نفر سرًّا إلى خيبر، فسألوا عن خَبَرِه وغِرَّتِه، وظل ابن رواحة وأصحابة ثلاثة أيام بين حوائط خيبر ونخيلها، ثم عاد لرسول الله ﷺ بالخبر[٢]، فانتدب رسول الله ثلاثين رجلًا، منهم: عبد الله بن أنيس، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة أميرًا، وخرجوا إلى خيبر، وأقنعوا يُسَيْر بن رِزَام أن رسول الله ﷺ بعثهم إليه حتى يأتيه فيستعمله على خيبر، ويحسن إليه، فطمع في ذلك، فخرج يُسَيْر بن رِزَام ومعه ثلاثون رجلًا من اليهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا قطعوا مسافة من الطريق ووصلوا إلى القرقرة[٣] من خيبر، على ستة أميال، ندم يسير على خروجه، وهم بالغدر بالمسلمين، فقتلوه وكل من معه من اليهود، غير رجل لم يتمكنوا منه ففر عائدًا بالخبر إلى خيبر[٤].

سريتان لبَشِير بن سعد الخزرجي ٧هـ:

خرج بشير بن سعد قائدًا لسرية مرتين؛ الأولى: إلى بني مُرَّة في فَدَك، وكان عداد السرية ثلاثين رجلًا، فاستاقوا نعمًا وشاء كثيرة، وفي طريق عودتهم لحق بها المُرِّيُّون،

---

(١) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩١.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ١٥.

(٣) **القرقرة:** بالفتح وتكرير القاف والراء، والقرقرة: الأرض الملساء، وهو موضع يقال له قرقرة الكدر على طريق الشام شمال المدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢٦.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ١٧٧.

فأصابوا أصحاب بشير، فمنهم من ولَّى ومنهم من قُتل، أما بشير فأصيب ثم تحامل على نفسه حتى رجع المدينة، وأبلغ الرسول ﷺ بما حدث[١].

أما السرية الثانية فقد بلغ رسول الله ﷺ أن عيينة بن حصن يجمع لحربه، فعقد لواء لبشير بن سعد، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأرسلهم إلى يُمْن وجُبَار[٢] - شمال شبه الجزيرة العربية - فلقيت السرية جمعًا لعيينة بن حصن فهزمته، واستاقوا نعمًا وشاء كثيرة، وأسروا رجلين فأسلما، وعادوا إلى المدينة[٣].

سرية مُؤْتة ٨هـ:

بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي، إلى ملك بُصْرَى بكتاب، فلما نزل مُؤْتة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني فقتله، فبلغ الأمر رسول الله ﷺ، فندب الناس وأخبرهم الخبر، فبلغ عدد من خرج مع السرية ثلاثة آلاف من المسلمين، وعلى إمارتها زيد بن حارثة، فإن قتل، فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، نقيب بَني الحارث بن الخزرج[٤].

وبعد وصول المسلمين إلى مؤتة، وجدوا هرقل ملك الروم قد نزل البلقاء في مائة ألف من الرُّوم، ثم بلغ جيش الرُّوم مائتي ألف بمن انضم إليهم، فلما بلغ الأمر ذلك أقاموا ليلتين؛ يفكرون في أمرهم، وقالوا: نرسل إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا؛ ليرى رأيه، ولكن عبد الله بن رواحة شجع الناس على القتال قائلًا: "والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما ظهور وإما شهادة، فتشجع الناس على القتال"[٥].

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٧٢٣؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٠٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٢٠٩.

(٢) **يُمْن وجُبَار:** موضع في شمال الحجاز. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٤٠٠.

(٣) الواقدي، المصدر السابق، ص ٧٢٧، ٧٢٨؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٦؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢١٣.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٢٢١.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ص ٧٥٥، ٧٥٦؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٣٤.

وبعد بدء المعركة قتل زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يتردد بعض التردد، ثم تقدم، وقاتل حتى قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووقع اللواء من يده، فاختلط المسلمون والمشركون، وانهزم بعض الناس، فجعل قُطْبَة بن عامر الخزرجي يصيح: يا قوم يقتل الرجل مُقْبِلا أحسن من أن يقتل مُدْبِرًا، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، فدافع القوم حتى استطاع الانسحاب بجيش المسلمين(١).

سريتان لأبي قتادة ٨هـ:

كان أبو قتادة الحارث بن ربعي - أخو بني سَلِمَة - من المقاتلين الأشداء، ففي غزوة ذي قَرَد - الغابة - أظهر أبو قتادة معرفة بالحرب وقوة على المواجهة، فقال عنه رسول الله ﷺ: "خير فرساننا اليوم أبو قتادة"(٢)، وقد كان ممن دافع عن رسول الله ﷺ يوم حُنين، وكانت السرية الأولى لأبي قتادة إلى خَضِرَة من أرض نجد(٣)، من مساكن غطفان، في شعبان سنة ثمان من الهجرة، وكان معه خمسة عشرة رجلا، فشن الغارة على القوم، وعاد وقد استاق النَّعَم، فكانت مائتي بعير وألفي شاة(٤).

أما السرية الثانية، فكانت لمَّا همَّ رسول الله ﷺ بغزو مكة، فقد بعث أبا قتادة في سرية من ثمانية نفر إلى بطن إِضَم، وهي فيما بين ذي خُشُب - وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة - وذي المرْوَة، وبينها وبين المدينة ثلاثة مراحل(٥)؛ ليظن الناس أن رسول الله ﷺ ذهب إلى هذه الناحية؛ حتى تذهب الأخبار بذلك، ولم تلق هذه السرية كيدًا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب (٦).

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٢٣٧.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٠، الصالحي، المصدر السابق، ج٥، ص ١٦٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٧.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٣؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٨٩.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٣، ١٢٤؛ ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

(٦) ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢، ص ٢٢٠.

سرية قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي لصُدَاء ناحية اليمن ٨هـ:

لما انصرف الرسول ﷺ من الجعرانة[١] - بعد فتح مكة - بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن، يقال لها صداء، فقدم رجل منهم عَلِمَ بالبعث إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله اردد الجيش وأنا لك بقومي"، فرد قيسًا، وخرج الصُدَائي إلى قومه، فقدم منهم - بعد ذلك - جمع فأسلموا[٢].

ثانيًا: دور الصحابة الخزرجيين في غزوات الرسول ﷺ:

غزوة بدر:

كانت الهجرة النبوية إيذانًا بتحول الصراع الدائر بين الإسلام - ممثلًا في رسول الله ﷺ وكفار مكة - من صراع يتسم بالمحلية، إلى صراع أكبر يدور في أنحاء شبه الجزيرة العربية، ولقد كانت غزوة بدر أولى العمليات الكبرى التي قام بها الرسول بعد الهجرة؛ معلنًا قيام دولة المدينة، وموضحًا أن هذه الدولة الناشئة من الممكن أن تهدد، بل وتسيطر على الطريق التجاري بين مكة والشام، وبالتالي توجه ضربة قاصمة للاقتصاد المكي الذي يعتمد على التجارة.

ووقعت غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة[٣]، وكان قتالهم - عند ابن إسحاق - يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة خلت من شهر رمضان[٤]، أو التاسع عشر عند ابن الأثير[٥]. ولقد خرج رسول الله ﷺ - على أرجح الأقوال - في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا؛ منهم مائة وسبعون رجلًا من قبيلة الخزرج، أي أكثر من نصف من شهد المعركة[٦]؛ في حين أن ابن سيد الناس ذكر أن عدد الخزرجيين كان مائة وخمسة وتسعين[٧]، ولقد احتلت بنو

---

(١) **الجِعْرَانَة:** وهي ماء بين الطائف ومكة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٤٢.

(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ٤٨٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٣٢٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٧؛ القسطلاني، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٩.

(٥) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٣٨.

(٧) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١، ص ٤٣١.

جُشَم - ببطونها الثلاث الكبرى: بني سلمة، وبني زريق، وبني بياضة - العدد الأكبر من الخزرجيين المشاركين في الموقعة، حتى أطلق على بني سَلِمَة بعد الموقعة، سَلِمَة بَدْر؛ لكثرة من شهدها منهم - وكانوا ثلاثة وأربعين إنسانًا[١] -، كما شهدها من بني زُرَيْق ستة عشر رجلًا، ومن بني بياضة ستة نفر، ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجل واحد، وبهذا يبلغ عدد من شهد بدرًا من بني جشم ستة وستين رجلًا[٢].

وبعد أن خرج رسول الله ﷺ جعل قيس بن أبي صعصعة المازني النجاري على ساقة الجيش[٣]، وجعل شعار الخزرج يا بني عبد الله[٤]، ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر السلمي[٥]، وذكر صاحب المواهب: "أن سعد بن عبادة كان صاحب راية الأنصار"[٦]، ولقد وقع في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سعد بن عبادة قال لرسول الله ﷺ: "والذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك"[٧]، في حين أن ابن هشام وأكثر المصادر الأخرى تنسب هذه الكلمة إلى سعد بن معاذ[٨].

والراجح في ذلك أن سعد بن عبادة لم يحضر بدرًا؛ فقد كان يتهيأ للخروج فلدغته حية قبل أن يخرج فأقام، فقال فيه رسول الله ﷺ: "لئن كان سعد لم يشهدها فقد كان حريصًا عليها"، وضرب له بسهم[٩]، فحمل سعد بن عبادة على عشرين جملًا، وأهدى للرسول درعًا سميت ذات الفضول[١٠].

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٤٦.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٧٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٦٩.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٨.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٣٩؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص ٢٠٣.

(٦) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٣.

(٧) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٥، ص ١٧٠؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٣، ص ٤٧.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٣٥.

(٩) الحلبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(١٠) الصالحي، المصدر السابق، ج٤، ص ٣١؛ القسطلاني، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥٩.

ونزل جيش المسلمين أدنى ماء بدر، فقام الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"[١]، وفي رواية فنزل جبريل فقال: "الرأي ما أشار إليه الحباب"[٢].

ولقد أظهر الصحابة الخزرجيون حبهم للإسلام من بداية المعركة، فعندما خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة في بدء القتال، خرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة، وكلهم من الخزرج، فرفض الكفار لقاءهم، وقالوا: ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا، فأخرج إليهم الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح[٣].

كما استشهد عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري بعد أن سمع رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة"، فقال عمير: "بَخٍ بَخٍ ما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء"، ثم ألقى تمرات كانت في يده وقاتل حتى قتل[٤]. ويقال إنه أول قتيل قُتِل في بدر[٥]. ويقول ابن إسحاق: "قال يومئذ عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء: يا رسول

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٣؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٤٠؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٣، ص ٣٥؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٣٣.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٧٦.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٨.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٨؛ البيهقي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣.

(٥) البيهقي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٣.

الله، ماذا يُضحك الرب من عبده؟ قال: غمسه يده في العدو حاسرًا"، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتِل[١].

كما كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في قتل أبي جهل، يقول عبد الرحمن بن عوف: "بينا أنا واقف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلما رأيت أبا جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فنظر في سيفيهما، وقال: كلاكما قتله، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وكلاهما من الخزرج"[٢].

وقتل في غزوة بدر ستة من الخزرج، وهم: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له ابن فسحم من بني الحارث بن الخزرج، وعمير بن الحمام من بني سلِمَة ثم من بني حرام، ورافع بن المعلى، وحارثة بن سراقة من بني النجار، وعوف ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعة[٣].

وفي طريق العودة إلى المدينة جعل رسول الله ﷺ عبد الله بن كعب من بني مبذول ابن النجار، على غنائم بدر، وأرسل عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية من المدينة؛ يبشرهم بالنصر الذي أفاءه الله على المسلمين[٤].

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٨٠.

(٢) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩٢ (حديث رقم: ٣١٤١)؛ محيي الدين بن حزام النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ص ١٥٩، ١٦٠؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٤.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٩؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٣.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٥؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٥.

ويعلق ولفنسون على غزوة بدر قائلًا: "كان عدد الأوس والخزرج في هذه المعركة قليلًا، وكان أغلب المحاربين من المهاجرين"[١]، وهذا الرأي مجمع على عدم صحته؛ فإن أغلب المصادر - وعلى رأسها سيرة ابن هشام - قد حددت عدد المحاربين في بدر، فذكرت أنه كان من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلًا، ومن الأوس واحد وستون رجلًا، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلًا[٢].

غزوة أحد:

كانت غزوة أُحد ذروة الصراع بين الحق والباطل؛ فقد جاءت قريش، يدفعها كرهها الشديد للإسلام ورغبتها المجنونة في الانتقام لتلك الهزيمة التي حاقت بها في بدر، والتي أضاعت هيبتها بين القبائل العربية، فعندما علم الرسول ﷺ بخروج قريش جمع المسلمين للمشورة، ودعا عبد الله بن أبيّ بن سلول[٣]، ولم يدعه قط قبلها فاستشاره[٤]، فكان رأي عبد الله بن أبيّ وكبار صحابة الرسول المكوث في المدينة والدفاع عنها، في حين أن التيار العام للمسلمين - وخاصة الشباب - كانوا يرون الخروج من المدينة ومناهضة قريش خارجها، ونزل الرسول على رأي الشباب، فقرر الخروج من المدينة وملاقاة الكفار خارجها.

ويحلل الدكتور جميل المصري هذا الرأي لابن أبي قائلًا: "ويظهر من استماتة ابن أبيّ في الدفاع عن الرأي الأول، أنه كان على اتفاق مع قريش ومع أبي عامر الراهب واليهود؛ لوضع المسلمين بين نارين: اليهود والمنافقين في الداخل، والمشركين في الخارج"[٥].

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٢٧.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) عبد الله بن أبيّ بن سلول: زعيم المنافقين، وكان من بني الحُبْلَى من الخزرج، وكان يرى أن رسول الله قد سلبه مُلكًا؛ فقد كان أهل المدينة يريدون تتويجه قبل هجرة الرسول ﷺ، ولكن لم يتم له الأمر بعد الهجرة.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٥؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٢١.

(٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب، ص ١٠١.

والظاهر أن الرسول ﷺ استشار ابن أبيّ؛ لأنه كان زعيم الخزرج، وحتى يعرف نيات القوى المضادة، ومن يساندها في المدينة من المنافقين[١]، ولقد فوجئت القوى المضادة بخروج الرسول ﷺ من المدينة، فغيرت إستراتيجيتها، وقررت الاشتراك في المعركة، حتى تُغيِّر مواقفها أثناء القتال، فتؤثر في صفوف المسلمين، فوجد الرسول ﷺ في طريقه لأحد كتيبة من ستمائة مقاتل، فسأل عنهم فقيل له: إنهم حلفاء عبد الله بن أبيّ من اليهود، فرفض اشتراكهم في المعركة قائلًا: "لا يُستَنْصَر بأهل الشِّرك على أهل الشِّرك ما لم يُسْلِمُوا "[٢]، فعادوا إلى المدينة، وافتعل عبد الله بن أبيّ انقسامًا؛ حتى يؤثر في صفوف المسلمين، وانسحب بثلاثمائة من المنافقين، وكاد أن يُحْدِث شقًّا في صفوف المسلمين عندما همَّ بنو حارثة وبنو سَلِمَة أن يَتبعُوه، ولكن عصمهما الله، ونزلت الآية: ﴿**إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾[٣]، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة من صحابته[٤].

وكان رسول الله ﷺ قد أرسل الحباب بن المنذر الخزرجي إلى جيش الكفار سرًّا، فدخل فيهم وحَزَرَهُم له[٥]، ونظر إلى جميع ما يريد، ثم عاد وأخبر الرسول قائلًا: "رأيت يا رسول عددًا، حزرتهم ثلاثة آلاف، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعًا ظاهرة، حزرتها سبعمائة درع "[٦].

---

(١) جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب، ص ١٠٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٧٧؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٢٢.

(٣) آل عمران: ١٢٢.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩٦؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٤٠٠؛ السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص ٥٦.

(٥) **حَزَر الشيء:** قَدَّره بالتخمين أو قدره بالحدس؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١، ص ٦٧٢؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٣، ص ١٥٧.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٥.

وبعد أن عقد رسول الله ﷺ ألويته، دفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ويقال إلى سعد بن عبادة[١].

وكانت راية المسلمين مع النُّعمان بن عمرو البياضي[٢]، وجعل المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي على ميسرة الجيش[٣].

ولقد كانت البطولات الخزرجية في غزوة أحد كثيرة، على الرغم من هزيمة المسلمين، ودل على ذلك كثرة من قتل منهم شهيدًا؛ حيث بلغ عدد من قتل من المسلمين سبعين رجلًا - عند ابن هشام وابن سعد[٤]، وخمسة وستين رجلًا - عند ابن إسحاق[٥]، منهم سبعة وثلاثون شهيدًا لبطون الخزرج المختلفة ومواليهم - عند ابن عبد البر، أي أكثر من النصف، أو أربعون عند ابن هشام، وقد بلغوا سبعة وأربعون عند الصالحي[٦].

وكان ممن أبلى أحسن البلاء في الموقعة أم عمارة نُسَيْبَة بنت كعب النجارية، شهدت أحدًا هي وزوجها وابنها، وكانت تسقي الجرحى أول النهار، وقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنًا، وجُرحت اثني عشر جُرحًا؛ ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف[٧]، فمدحها رسول الله ﷺ قائلا: "ما التفتُّ يمينًا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني"[٨]. ولقد لبس كعب ابن مالك لأْمَة[٩] النبي ﷺ وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمته، فجرح كعب بن مالك أحد عشر جُرحًا[١٠].

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٧٧.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٦٠.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٦٢.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٤٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٤٠.

(٥) ابن هشام، نفسه.

(٦) سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٣٤٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩٠.

(٨) الواقدي، المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٩) **اللأْمَة:** الدرع، تقول: استلأم الرجل، أي: لبس لأمته؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٢، ص ١٩٢.

(١٠) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٦٨.

ولقد ضرب سائر شهداء الخزرج - كذلك - أروع الأمثلة في البطولة، وفي الدفاع عن رسول الله ﷺ؛ فها هو أنس بن النضر النجاري - عم أنس بن مالك - وُجد به بضع وثمانون جرحًا، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ولقد مَثَّلَ به المشركون، فما عَرَفهُ إلا أخته، عرفته بثيابه(١).

وها هو سِمَاك بن خَرشَة الساعدي - أبو دُجانة - الذي أخذ سيف رسول الله ﷺ، فقاتل حتى أمعن في الناس، وقتل كثيرًا من المشركين(٢)؛ حتى شهد له رسول الله ﷺ، قائلًا لعلي بن أبي طالب بعد الموقعة: "لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاده سهل ابن حنيف وأبو دُجانة"(٣).

ولقد قتل في الموقعة ثلاثة من نقباء الخزرج، وهم: رافع بن مالك بن العجلان، أحد الستة وأحد الاثني عشر وأحد السبعين، وكان نقيب بني زُرَيْق(٤)، وسعد بن الربيع نقيب بني الحارث بن الخزرج، شهد العقبة الأولى والثانية، وحضر بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا، بعد أن أصيب باثنتي عشرة ضربة نافذة(٥)، وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيب بني سَلِمَة، الذي أبلى أحسن البلاء(٦).

غزوة حمراء الأسد:

نادى رسول الله ﷺ للخروج وراء جيش الكفار، إلى حمراء الأسد، ثاني يوم أحد، فخرج من بني سَلِمَة أربعون جريحًا، حتى وافوه خارج المدينة، فلما نظر إليهم والجراح فاشية فيهم، دعا لهم قائلا: "اللّٰهم ارحم بني سَلِمَة"(٧).

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٧٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٥٥١.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٩؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٩.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٠.

(٥) نفسه، ج١، ص ٣٥٣، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٢.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٧٣.

(٧) الواقدي: المغازي، ص٣٣٥؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ١٧٩.

وحمل سعد بن عبادة نقيب بني ساعدة في هذه الغزوة على ثلاثين جملًا، حتى وافت الحمراء، وساق جُزُرًا فنحروا خمسة في يومين[١]، وكان دليل الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد ثابت بن الضحاك الخزرجي[٢]، وقد أنزل الله قرآنًا يمدح استجابتهم لأمر الرسول ﷺ بالخروج، ويعدهم الأجر، فقال -عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٣].

غزوة بني النضير:

كانت بنو النضير قد انضوت في ظل الوثيقة النبوية، التي أُقِرَّت في المدينة بعد الهجرة، وقد حاولوا اغتيال رسول الله ﷺ؛ حسدًا له لانتقال النبوة من بيت هارون، فأرسل لهم الرسول ﷺ يطلب منهم مغادرة المدينة وأَجَّلَهُم عشرًا، فوافق اليهود على الخروج من المدينة، حتى إنهم تكاروا إبلًا تحملهم، فأرسل إليهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقال لهم: لا تخرجوا وأقيموا؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم، فيموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم، فقرر اليهود محاربة الرسول وعدم الخروج من حصونهم، فحصرهم حتى نزلوا على حُكمه، ونزل فيما فعله عبد الله بن أبيّ بن سلول سورة الحشر بأسرها[٤].

وفي هذه الغزوة أرسل سعد بن عبادة قُبَّة من خشب الغَرَب عليها مُسُوح؛ لتكون مقر قيادة رسول الله ﷺ، كما كان يحمل التمر إلى المسلمين[٥]، وبعد أن غَنِمَ الرسول ﷺ بني النضير جمع الأوس والخزرج، ثم قال: "إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم"، فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، فقالا: "يا رسول الله، بل تُقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣٣٥، ٣٣٨.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٢٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٤٦.

(٣) آل عمران: ١٧٢.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٥٨، ٥٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

كما كانوا"، فَسُرَّ رسول الله، وقال: "اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار"، وقسم ما أعطاه الله للمهاجرين[١].

غزوتا الخندق وبني قريظة:

لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير، وساروا إلى خيبر، خرج منهم حُيَي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم، إلى مكة، فدَعَوْا قريشًا وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ، وهم الذين حَزَّبُوا الأحزاب، وقالوا لقريش: "نحن معكم حتى نستأصل محمدًا"، فنشطت قريش لذلك، وتذكروا أحقادهم ببدر، وقرروا الخروج لحرب المسلمين[٢].

وبعد أن علم رسول الله ﷺ باجتماع المشركين من قريش وسليم وأسد وغطفان في عشرة آلاف لحربه، استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة لحمايتها، ولاقت هذه الفكرة قبولًا عند الرسول ﷺ، فتم حفر الخندق في ستة أيام[٣]، بعد أن قَسَّم الرسول ﷺ المسافة المراد حفرها بين البطون المختلفة، حتى إنه أعطى بني سَلِمَة ناحية كاملة[٤].

وعسكر رسول الله وجيشه عند الخندق لثمان مضت من ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة، وجعل لواء الأوس والخزرج بيد سعد بن عبادة الخزرجي الساعدي[٥].

وبعد أن وصلت قريش ومن معها فوجئت بوجود الخندق، فعسكرت على الجانب الآخر منه، وبدأ الفريقان يترامیان بالسهام والحجارة، ومع الوقت تحولت المعركة إلى اختبار لإرادة الفريقين؛ فتارة يقتحم المشركون الخندق بخيولهم فيردهم المسلمون، وتارة أخرى يطلبون المبارزة فينهزمون، ثم تحول صراع الفريقين إلى محاولة السيطرة على ولاء بني قريظة، وهل ستقف في معسكر الشرك ليدخل المشركون المدينة من ناحيتهم، أم تظل

---

(١) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٥٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٤٤١؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٨، ص ٣٧٢.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١١٧؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٨٢.

(٤) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٧؛ المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٦.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٠؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٢.

مع الرسول طبقًا للوثيقة النبوية، التي نُصَّ فيها على التشارك في الدفاع عن المدينة، كما تذكر نصوص هذه الوثيقة: "وأن بينهم النصر على من داهم يثرب"(١)، وأن "على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم"(٢).

ولقد بعث رسول الله ﷺ أربعة من سادة الأنصار؛ ليتأكدوا من خيانة بني قريظة، كان منهم: سعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة، وهما سادة الخزرج، فعادوا مؤكدين غدر بني قريظة، وبدأ المنافقون يَفُتُّون في عضد المسلمين، واجتمع على المسلمين الجوع والبرد والحصار واشتد البلاء، فأراد رسول الله ﷺ أن يحتال لهم، وأن يعجل بانهيار حلف أعدائه، فأرسل إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف - قائدي غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما إلى بلادهما، ثم أرسل رسول الله ﷺ في طلب سعد بن عبادة وسعد بن معاذ سيدي الأنصار، فاستشارهما في ذلك، فرفض السعدان هذا العرض، وقالوا: "ليجتهدوا علينا"، فشعر قائدا غطفان بقوة اللُّحمة بين المسلمين، وأنهم لن يتركوا دينهم ومدينتهم نهبًا للأطماع(٣).

وبعد أن بلغت القلوب الحناجر - كما يقول القرآن الكريم - جاءت ريح شديدة في ليلة باردة، قضت على نيران معسكر الكفار وخيامهم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٤)، وبعد أن يئسوا من نصرة بني قريظة، قرر أبو سفيان الرحيل إلى مكة، وتبعته باقي الأحلاف، وقتل من المسلمين في هذه الغزوة ستة نفر، منهم اثنان من بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة، هما: ثعلبة بن عتمة، والطفيل بن النعمان، قتله

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٨؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص٦٢، بند رقم (٤٤)؛ جاسم محمد راشد: الوثيقة النبوية، ص ٨٢.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨؛ محمد حميد الله، المصدر السابق، ص ٦٢، بند رقم (٤٥ ب)؛ جاسم محمد راشد، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٩، ١٢٠.

(٤) الأحزاب: ٩.

وحشي قاتل حمزة، وواحد من بني النجار، ثم من بني دينار، وهو: كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله[١].

ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالمسير إلى بني قريظة، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، فنزلوا على حكمه، وحَكَّمَ فيهم سعد بن معاذ الأوسي، فحكم بقتل المقاتلة وسبي النساء، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار رملة، وقيل: كيِّسة بنت الحارث، امرأة من بني النجار[٢].

وكان سعد بن عبادة قد أرسل في هذه الغزوة بأحمال تمر للمسلمين، فأكلوا[٣]، واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة خُلاد بن سويد من بني الحارث بن الخزرج، طرحت عليه رحى من أحد حصونهم فقتلته[٤].

غزوة خيبر:

بعد أن عاد رسول الله ﷺ من صلح الحديبية، تفرغ لنشر الإسلام، فكتب إلى ملوك الآفاق يدعوهم، ومن جملة رسله ﷺ كان سَلِيط بن قيس بن عمرو الخزرجي، من بني مازن بن النجار، أرسله إلى هَوْذة بن علي الحنفي، ملك أهل اليمامة؛ يدعوهم إلى الإسلام[٥].

قام رسول الله ﷺ بغزو خيبر؛ لما تُكنه للمسلمين من عداء، ولأنها أصبحت تجمع كل من حارب الإسلام من اليهود بعد طرد يهود المدينة، فذهبوا إليها، وكان غزو خيبر في

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٩٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ٢٤٤.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٣٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٥٨٨؛ المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٩؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٣٤٥.

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٦.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٨؛ ابن عبد البر: الدرر، ص ١٩٤.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٨.

السنة السابعة من الهجرة عند ابن إسحاق والواقدي[١]، وذهب الإمام مالك وابن حزم إلى أنها وقعت في السنة السادسة للهجرة[٢]، والرأي الأول هو الأقوى.

ودفع رسول الله ﷺ راية إلى سعد بن عبادة، وأخرى إلى الحباب بن المنذر[٣]، وجاء في أكثر الروايات أن رسول الله ﷺ نزل خيبر فجأة، حتى إن سكانها كانوا يمارسون حياتهم العادية، وعندما رأو الجيش صاحوا: "محمد والخميس"، إلا أن صاحب تاريخ الخميس، له رواية يقول فيها: "وأرسل ابن أبيّ إلى يهود خيبر يخبرهم بأن محمدًا في قصدكم، فخذوا حِذْركم"، فأرسلوا عينًا لهم فأصابها جيش المسلمين، وأقر صاحبها بخبر إبلاغ المنافقين لأهل خيبر بهجوم المسلمين[٤].

ويمكننا التوفيق بين الروايتين بأن ابن أبيّ أبلغ أهل خيبر بخروج جيش المسلمين لقتالهم، وبعد أن بلغهم الخبر لم يستطيعوا إبلاغ جميع الحصون بهذا الخبر؛ لقصر المدة الزمنية بين وصول الخبر ونزول جيش المسلمين.

ورُوي أن الحباب بن المنذر الخزرجي أتى النبي ﷺ بعد أن نزل بالجيش، فقال: "يا رسول الله أمنزلًا أنزلكه الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: "بل هو الرأي"، فقال: يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جدًّا من حصن نطاة، وجميع مقاتلي خيبر فيه، وهم يدرون أحوالنا ولا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم، فلو أمرت بمكان خال من هذه المفاسد، فقال رسول الله ﷺ: "الرأي ما أشرت"[٥]، وتم اختيار مكان آخر؛ ليكون معسكرًا للمسلمين، وكان الحباب قد أشار على الرسول ﷺ في بدر، ولقد قال الحباب مفتخرًا: "أشرت على رسول الله برأيين فقبل مني"[٦].

---

(١) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٦٣٤؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٩٣.

(٢) ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٨٨.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١٠١.

(٤) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٤٣، ٤٤.

(٥) نفسه، ج٢، ص ٤٦.

(٦) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣١٣.

وتوالى فتح حصون خيبر، وجعل رسول الله ﷺ فروة بن عمرو البياضي على جمع غنائم خيبر[١]، وجعل سواد بن غزية - من بني عدي بن النجار - عامله على خيبر بعد ذلك[٢]، وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى خيبر عبد الله بن رواحة خارصًا[٣]، بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم، وبعد أن استشهد في مؤتة، كان جبَّار بن صخر بن أمية الخزرجي، أخو بني سَلِمَة، هو الذي يخرص عليهم[٤]، وكان خارص أهل المدينة[٥]، كما كان فروة بن عمرو البياضي يخرص على أهل المدينة أيضًا[٦].

ولقد استشهد في خيبر ثلاثة من الصحابة الخزرجيين، هم: بشر بن البراء بن معرور، وفُضَيل بن النعمان، من بني سلمة، ومسعود بن سعد بن قيس، من بني زريق[٧].

فتح مكة:

خرج رسول الله ﷺ بجيوش المسلمين لفتح مكة، بعد أن نقض كفار مكة صلح الحديبية، وحرص رسول الله ﷺ على مباغتة أهل مكة؛ حتى لا يُجبر على القتال في البلد الحرام، وكان ذلك في العام الثامن للهجرة، وكان الرسول ﷺ في كتيبته الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار، وكان فيها الرايات والألوية، ومع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية[٨].

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٥٥.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٥٩٠.

(٣) **الخارص:** الذي يقدر التمر وهو على أصوله، والخرص هٰهنا التقدير؛ الفراهيدي، معجم العين، ج٤، ص١٨٣.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٢١٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٤٨٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٥؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص ٢٣٠.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٣٠.

(٦) نفسه، ج٥، ص ٢٠٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٠.

(٨) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٣٣٣.

وكانت راية بني ساعدة مع مالك بن ربيعة – أبو أُسَيْد السَّاعدي[١]، وراية بني سلمة مع قُطْبة بن عامر[٢]، وكانت هناك رايتان للخزرج؛ الأولى مع الحباب بن المنذر، والثانية مع سعد بن عبادة الخزرجي[٣]، ولقد أمره رسول الله أن يدخل ببعض الجيش من كَدَاء[٤]، فقال سعد – حين رأى أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحَل الحُرمة، فبلغت هذه الكلمة رسول الله ﷺ، فعزل سعدًا وجعل ابنه قيس بن سعد بن عبادة مكانه، وقيل جعل علي بن أبي طالب مكانه[٥]، ورد رسول الله ﷺ على كلمة سعد قائلًا: "اليوم يوم المرحمة، اليوم يعزُّ الله قريشًا"[٦]. ولقد أعز الله قريشًا بفتح رسول الله ﷺ مكة، ودخول أهلها في الإسلام.

وبلغ رسول الله أن هوازن وثقيف اجتمعت لحربه، فاستخلف عَتَّاب بن أسيد القرشي أميرًا على أهل مكة، ومعاذ بن جبل الخزرجي يُعَلِّمهم السُّنَن والفقه، وخرج لحرب هوازن وثقيف[٧].

غزوة حُنين:

عبأ رسول الله أصحابه وصفَّهُم، ووضع الألوية والرايات في أهلها، وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر، ويقال: "وكان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عبادة"، وكان في كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية، فحمل راية بني الحارث بن الخزرج أبو بُرْدَة بن نيار – حليف لهم من بَلِيّ[٨] – وكان خال البراء بن عازب، وراية بني ساعدة حملها أبو أُسَيد الساعدي، وراية بني مالك بن النجار كانت مع عمارة بن حَزْم، وراية

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥١٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٥٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢٤٢.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٩.

(٤) **كَدَاء:** جبل في مكة يقع جهة الشام. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص ١١١٧.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٤.

(٦) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ٣٢٧.

(٧) الواقدي: المغازي، ص ٨٨٩؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٢٠١ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٦٢.

(٨) **بَلِيّ:** بطن من قضاعة، وهم بطون كثيرة؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٧٠٥.

يحملها أبو سليط - أسيرة بن عمرو الأنصاري - في بني عَديّ بن النَّجّار، وراية يحملها سَلِيط بن قَيْس في بني مازن(١).

وكانت رايات الأوس والخزرج في الجاهلية خُضْر وحُمْر، فلما جاء الإسلام أُقِرت على ما كانت عليه، وعندما وصل جيش المسلمين إلى وادي حُنَيْن كان جيش الأعداء قد سبقهم إلى الوادي، فكمنوا في شعابه وأحنائه ومضائقه، ثم شَدُّوا على المسلمين شدة رجل واحد، فانفض الناس راجعين، تاركين رسول الله ﷺ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار(٢).

ولندع العباس - عم رسول الله ﷺ - يروي لنا ما حدث، فقال: إني لمع رسول الله، آخذ بخطام بغلته البيضاء، والناس لا يلوون على شيء، فقال رسول الله: "يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرة(٣)، يا أصحاب سورة البقرة"(٤)، ثم قصرت الدعوة على (يا للخزرج) ، ثم على (يا بني الحارث بن الخزرج) ، وكانوا صُبَّرًا عند الحرب، ثم يقول العباس: "والله لكأنما عَطْفَتُهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها"؛ كناية على سرعة الإجابة، وجعل سعد بن عبادة يصيح يا للخَزْرَج(٥).

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب - من بني مازن بن النجار - جعلت تصيح: "يا للأنصار، ما لكم وللفرار؟!"، ثم أخذت سيفًا صارمًا، وضربت به عرقوب الجمل الذي كان يحمل صاحب لواء هوازن، وظلت تضربه حتى أثبتته، وأخذت سلاحه(٦).

---

(١) المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٧، ص ١٧٠.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٨٩٥، ٨٩٦.

(٣) أصحاب السَّمُرة: يشير بذلك إلى من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان بالحديبية، والسمرة من شجر الطلح.

(٤) يا أصحاب سورة البقرة: خُصت بالذكر حين الفرار؛ لتضمنها ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، أو لتضمنها: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠]، أو: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

(٥) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، سوريا، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٩٢.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص٩٠٣؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٨٧.

وتحقق النصر للمسلمين، وأصبحت هوازن ما بين قتيلٍ وأسير؛ حتى إن بني مازن وبني النجار أتوا بثلاثين أسيرًا[١]. وفي هذه الغزوة قال رسول الله ﷺ: "من قتل قتيلا له عليه بيِّنة فله سَلبُه"[٢]، فوجدوا أبا طلحة الأنصاري - من بني مالك بن النجار - قد قتل عشرين رجلًا، فأخذ أسلابهم[٣].

وقد بلغت شهرة المائة الذين أبوا الفرار عنان السماء، فقد ورد عن حارثة بن النعمان النجاري أنه قال: "رأيت جبريل من الدهر مرتين؛ الثانية حين رجعنا من حُنين مررت وهو يكلم النبي ﷺ فلم أُسَلِّم، فقال جبريل: من هذا يا محمد؟ قال: حارثة بن النعمان، قال: أما إنه من المائة الصابرة يوم حنين، الذين تكفل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلم لرددنا عليه"[٤].

ويقال: إن المائة الصابرة كان منهم ستة وستون[٥]، وقيل: سبعة وستون من الأنصار[٦]، ولمَّا فرق رسول الله ﷺ غنائم هوازن في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت القالة، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم بما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقال: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟"، قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: "فاجمع لي قومك"، فجمعهم سعد، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟!، لو سلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار"، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٨٨.

(٢) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ١٥٥ (حديث رقم: ٣١٤٢).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٣٨.

(٤) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣١٣؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٥، ص ٤٨٥.

(٥) نفس الجزء والصفحة.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص ٩٠١.

الله ﷺ قسمًا وحظًّا، وتفرق القوم[١]، واستشهد من الخزرج في غزوة حنين كل من أيمن بن عبيد الخزرجي، وسراقة بن الحارث النجاري[٢].

المنافقون[٣]

ظهر النفاق في المدينة كحركة باطنية، كان هدفها القضاء على دولة النبي ﷺ، وذلك عقب انتصار بدر، وإذا نظرنا نظرة موضوعية لأسباب هذه الحركة، نجد أن لها دوافع عِدَّه؛ فلقد هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ لما لاقاه من الأذى في مكة، فأراد أن يهاجر لأرض جديدة لنشر الإسلام، وليكون حكمًا بين أهل المدينة، يقضي على خلافاتهم، ويضع حدًّا لحالة التشرذم التي كانت تمر بها المدينة قبل الإسلام؛ وليُحَطِّم الكثير من الأصنام الاجتماعية والنفسية التي جُبِل عليها السكان في المدينة؛ فلقد كان المجتمع اليثربي لا يعرف الوحدة ولا التماسك، وكان مغرقًا في النظام القبلي، الذي لم يَعْتَد الانقياد

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٩٥٦؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ٧٨؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٣١؛ ابن عبد البر: الدرر، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) الواقدي، المصدر السابق، ص ٩٢٢.

(٣) النفاق: الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر، وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، كما يتستر الرجل بالنفق الذي هو السَّرب، والسرب: المسلك في خفية، وقيل اشتق من: نافق اليُربوع إذا دخل في فتحة جُحْرِه وخرج من أخرى، وقال صاحب معجم العين:

(للمؤمنين أمورٌ غير مُحْزِنةٍ وللمنافِقُ سِرٌّ دونَه نَفَقُ)

وكان النفاق في بعض من دخل الإسلام من الأنصار؛ ذلك أن الأنصار هم أهل المدينة، فلما أسلم أشرافهم وجمهورهم، احتاج الباقون أن يُظهِروا الإسلام نفاقًا؛ لعز الإسلام وظهوره في قومهم، وقد حدد رسول الله ﷺ علامات المنافقين في الحديث الشريف، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل، صخب بالنهار". الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٥، ص ١٧٨؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م، ج١٣، ص ٣٠٢، ٣٠٣؛ ابن تيمية: الخلافة والملك، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٧٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٦٠٥.

لسلطة موحدة، أو التمسك بالمُثُل الدينية والخلقية التي يدعو إليها الإسلام، أو الخروج من فكرة القبيلة الضيقة إلى فكرة الأُمَّة الأكثر اتساعًا، التي يدعو إليها الإسلام.

كل هذا جعل هناك من يحارب الجديد ويقف مع القديم؛ فقد كان هناك من يستفيد من القديم، ويؤيد بقاء الأحوال كما هي؛ لأن هذه الفُرقَة كانت مصدر رزقه، كما كان لوجود اليهود في المدينة أثر في إذكاء نار النفاق؛ نتيجة علاقة الصداقة والتحالف القائمة بين الجانبين.

وقد كانت الوثيقة النبوية التي عقدها الرسول ﷺ سببًا في تغير التحالفات داخل المدينة، وهي الأحلاف التي ظلت سنوات طويلة تحكم الصراع اليثربي، وبناء عليه فقد كان هناك من وقف ضد ذلك، كما كان هناك من حسد هذا الرجل الغريب عن المدينة، والذي خطف الأنظار إليه، وحاز على النفوذ بالمدينة، فالمنافقون لم يعارضوا النبي لكونه نبيًّا، بل لكونه قرشيًّا سيطر على حكم المدينة، على حساب الزعامات المحلية التقليدية(١).

وكان عبد الله بن أبيّ، سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وهو ابن سلول(٢)، وسلول امرأة من خزاعة(٣)، وقد نظم له قومه الخرز؛ ليتوجوه، ثم يملكوه عليهم، فجاءهم رسول الله ﷺ، فانصرف قومه عنه إلى الإسلام، فرأى ابن أبيّ أن رسول الله ﷺ قد استلبه مُلْكًا، فلما رأى قومه قد أَبَوْا إلا الإسلام دخل فيه كارهًا، مصرًّا على نفاق وغدر بالإسلام وبرسوله ﷺ(٤).

وعلى الرغم من أن أكثر المصادر قد ذكرت هذه الرواية السابقة؛ إلا أننا نرى أن ابن أبيّ لم يكن بالقيادة المقبولة من جميع الأطراف بالمدينة، ويبدو أنه لم يكن يتمتع بالاحترام

---

(١) أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان والمُلك، ص ٨٤.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٠٠.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٢.

(٤) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج١، ص ٣٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م، ج٣، ص ١٠٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ٢٢٦.

حتى بين أبناء قبيلته[١]، ولكنه - بلا شك - كان سياسيًّا طموحًا، تطلع إلى أن يصل إلى سدة الحكم بمواقفه السياسية، الرامية إلى كسب الجبهة الداخلية في المدينة، كما كان يتمتع بقدر عال من الانتهازية السياسية، وكانت آخر مواقفه التي تدل على الطمع في السلطة قبل الإسلام، موقفه الحيادي في يوم بُعاث؛ حتى لا يغضب أي طرف[٢].

وقد كان لابن أبيّ الكثير من الأفعال التي يأباها اللبيب، ويرفضها ذوي الفِطر السليمة؛ فقد كان له قبل الإسلام أمتان، هما مُعاذة ومُسيكة[٣]، يجبرهن على البغاء، ويضرب عليهن ضرائب، فشكتاه إلى رسول الله ﷺ، فنهاهما عن الزنا، فصاح عبد الله بن أبيّ: من يعذرني من محمد؟، يغلبنا على مملوكتنا![٤] فأنزل الله فيهم: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[٥]، فإن قيل إن هذا كان قبل الإسلام، قلنا: إن هذا مما تأباه شيم الرجال، حتى وإن كانوا على الكفر.

على أن هناك الكثير من المواقف التي تدل على أن ابن أبيّ لم يكن يصلح للقيادة؛ فقد روى الزهري عن كعب بن مالك، أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبيّ بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنا نقسم بالله لتقتُلنَّه أو لتُخرجنَّه، أو لنستعينن عليكم العرب، ثم لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك ابن أبيّ ومن معه، أجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي لقيهم في جماعة، فقال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، وما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا أنفسكم"، فلما سمعوا ذلك تفرقوا[٦].

---

(١) عبد الله الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم (٢١)، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ص ١٢٣.

(٢) نفسه، ص ١٤٩.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٣، ص ٢٢١.

(٤) نفسه، ج٢٣، ص ٢٢٢؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٢٨٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج٨، ص ٢١.

(٥) النور: ٣٣.

(٦) الزهري: المغازي النبوية، ص ٧١، ٧٢؛ الصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص ٤٥١.

كما تناول القرآن ابن أبيّ بالذم، فقال: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[١]؛ وذلك أنه رأى أبا بكر فقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، فلما انصرف أبو بكر قال ابن أبيّ لأصحابه من المنافقين: إذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه[٢].. فكيف بِهَامة القوم وهو يحضهم على الرياء.

ويحاول المستشرقون – وهم يتكلمون عن عبد الله بن أبيّ والمنافقين – أن يصوروا ابن أبيّ ومن معه على أنهم يمثلون تيار الوطنية، الذي يحاول أن يقف ضد السيطرة الخارجية على المدينة، فنجد مونتجمري وات يتحدث عن المنافقين باعتبارهم المعارضة الإسلامية، فبدلًا من استخدام كلمة (Hypocrites) بمعنى المنافقين، نجده يستخدم مصطلح (The muslim opposition) بمعنى المعارضة الإسلامية[٣]، ويحاول وات أن يلحق ابن أبيّ بالمسلمين الأوائل، فيقول وات: "أسلم ابن أبيّ قبل العقبة"[٤]، مع أنا لا نجد لابن أبيّ ذكرًا في أيِّ مصدر من المصادر تقول إنه بايع بيعة العقبة الأولى أو الثانية، ولكنه حضر الحج في عام العقبة الثانية؛ حتى إنَّ كفار قريش سألوه عن البيعة فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفَوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته[٥].

وكانت سلطة رسول الله ﷺ في المدينة تتزايد باطراد؛ مما كان يُشعر المنافقين أن دورهم في المدينة سوف ينتهي مع الوقت؛ مما أدى إلى كثير من الأحداث التي كانت تدل

---

(١) البقرة: ١٤.

(٢) ابن حجر: العُجاب في بيان الأسباب، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ص ٧٦؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١٣، ١٤.

(3) Watt, W. M., Muhammad at Medina, (Oxford at the Clarendon press, London: 1966) p. 180.

(4) p.175. Watt, W. M., Muhammad at Medina.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٣؛ عبد الله الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٤٧.

على عدم صحة إيمان المنافقين، وأن سلوكهم القَبَلِي الجاهلي كان متغلبًا على روحهم الإسلامية(١).

وإذا استعرضنا تاريخ المضايقات التي تعرض لها الرسول ﷺ من المنافقين نجدها كثيرة، وأنها كانت بمثابة حجر عثرة في طريق انتشار الدعوة، فعندما دخل رسول الله ﷺ المدينة مَرَّ بابن سلول، فانتظر رسول الله أن يدعوه للنزول عليه، فقال ابن أبيّ: "اذْهَبْ إلى الذين دعوك فانْزِل عليهم"(٢).

ويروي الزُّهري عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ذهب يعُود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر، فمر على مجلس عبد الله بن أبيّ بن سلول، وذلك قبل أن يسلم، فنزل الرسول ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن سلول: يا أيها المرء، إنه لا أحسن ممَّا تقول، إن كان حقًّا فلا تؤذنا به فى مجلسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة وكان حاضرًا، بلى يا رسول الله، فاغشنا به فى مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك(٣)؛ كما كان ابن أبيّ يُخذِّل الناس عن الإسلام، فقد جاء أبو قيس بن الأسلت الأوسي ليُسْلِم، فلقيه عبد الله بن أُبيّ بن سلول فقال له: "تَرَبَّص حتى ترى، فرجع فمات كافرا "(٤).

وقد كانت بداية أعمال المعارضة النفاقية ضد الرسول ﷺ بعد الهجرة، عندما نزل بنو قينقاع على حكم الرسول ﷺ، على أن للرسول ﷺ أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكُتِّفوا، فذهب إليه عبادة بن الصامت - من القواقلة - وكان حليفًا لهم فقال يا رسول الله: أتَوَلَّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الرجال، أما ابن أبيّ فقد قال للرسول: يا محمد أحسن في مَوَالِيّ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، منعوني

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة:٨].

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٩٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٣٨٨.

(٣) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٨٠؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص ١١٩؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٥، ص ١٨٢؛ البيهقي: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١١؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٦٦.

من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر[١]، فمنحهم له رسول الله ﷺ على أن يخرجوا من المدينة في ثلاث، وكان الذي تولى إخراجهم عبادة بن الصامت الخزرجي[٢].

وفي غزوة أحد انخذل عبد الله بن أبيّ في ثلث الجيش المسلم، ويعتبر هذا الموقف من قبل المنافقين أكثر المواقف تأثيرًا على المسلمين، فهزموا في غزوة أُحد، وقد علَّق السمهودي على هذا بقوله: "وبكى المسلمون يومئذ على قتلاهم، فَسُرَّ المنافقون، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق"[٣].

وفي غزوة بني النضير أرسل مالك بن أبي قَوقَل الخزرجي، وسويد وداعس، وهم من رهط ابن سلول، وعبد الله بن أبيّ بن سلول - إلى يهود بني النضير، ودعاهم ابن سلول: "أن اثبتوا؛ فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم، وإن قوتلتم لننصرنكم؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون معكم"[٤]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٥]؛ ولكن المنافقين بعد أن استنجد بهم يهود بني النضير، لم يَمُدُّوهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وانتهى الأمر بإجلائهم[٦].

---

(١) فنزلت في ابن سلول هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، ونزلت: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٦٧.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٩٥.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧؛ ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٥٦، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٦٠.

(٥) الحشر: ١١.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٦.

وقد كان لسلام بن مشكم في مَعرِض كلامه مع حيي بن أخطب رأي قد حذر فيه من ابن سلول، حيث قال: "وابن أبيّ لا هو على دين يهود، ولا هو على دين محمد، ولا هو على دين قومه، فكيف تقبل منه قولًا قاله؟!"(١). ويتماثل قول ابن مشكم مع تحليل الرسول ﷺ لنفس المنافق؛ حيث قال: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعِير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة"(٢).

ولقد تحول المنافقون - بعد فشلهم في مساعدة بني النضير - إلى المعارضة الكلامية، غير القادرة على الفعل، فنجد خلافًا وقع على الماء بين رجلين؛ أحدهما أنصاري، والآخر قرشي، في غزوة بني المصطلق، فلما علم ابن أبيّ قال: "والله لئن رجعنا ليخرجن الأعز منها الأذل"(٣)، فنقل زيد بن أرقم الخزرجي الحديث إلى رسول الله ﷺ، وكان عمر بن الخطاب حاضرًا، فحدَّث رسولَ الله بقتله، فقال رسول الله: "لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه"، فجاء عبد الله بن عبد الله بن أبيّ فقال: "يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمُرني به، فوالله لأحملن إليك رأسه"، فقال رسول الله ﷺ: "يا عبد الله، ما أردت قتله وما أمرت به، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا"(٤).

وبعد أن حلف ابن أبيّ أنه لم يقل، نزلت فيه سورة (المنافقون) كاملة، وجعل بعد ذلك إذا أحدث حدثًا كان قومه هم الذين يعاقبونه ويأخذونه ويعنفونه(٥).

وقد كان حادث الإفك الفرصة الكبرى لابن أبيّ حتى يطعن على رسول الله ﷺ، فصعد رسول الله ﷺ منبره قائلا: "يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣٦٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٤٥٧.

(٢) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٨، ص ١٢٤؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٩، ص ٩٩؛ أبو عبد الرحمن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، ج٦، ص ٥٣٨.

(٣) ونزلت الآية: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨].

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٦٩، ١٧٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٥٨، ٣٥٩؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٥٢٢.

(٥) الصالحي: المصدر السابق، ج٤، ص ٥٠١.

في أهل بيتي؟"، فقام سعد بن معاذ الأوسي فقال: "إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك"، فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج يدافع عن ابن أبيّ، وثار الحيان حتى هَمُّوا أن يقتتلوا، فأسكتهم رسول الله ﷺ(١).

وبعد أن مكثت السيدة عائشة شهرًا لا يوحى لرسول الله ﷺ في شأنها، أنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾(٢)، وهكذا نزلت براءة السيدة عائشة في قرآن يتلى، وضُرِب الحد أربعة خاضوا في هذا الأمر، اثنان منهم من الخزرج، زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وحسان بن ثابت الشاعر(٣).

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم، والمسير إلى تبوك، فجاءه الجد بن قيس الخزرجي، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سَلِمَة(٤)، فقال: يا رسول الله أوتأذن

---

(١) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٢٠؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٧٥؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) النور: ١١.

(٣) الواقدي: المغازي، ص ٤٣٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٥٤. وقال القرطبي: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدَّ: حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحدٍّ لعبد الله بن أُبي. وذلك الحديث رواه أبو داود عن عائشة، وعلل العلماء ذلك بأن الله أعدَّ لعبد الله بن أُبي في الآخرة عذابًا عظيمًا، فلو حُدَّ في الدنيا لكان ذلك نقصًا من عذابه في الآخرة وتخفيفًا عنه، وإنما حُد المسلمون الثلاثة؛ ليكفر الله عنهم الإثم حتى لا يبقى عليهم تبِعة من ذلك في الآخرة، فقد ثبت حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا في الحدود: "إنها كفارة لمن أقيمت عليه".

وقيل: إن ترك حدِّ ابن أُبي كان استئلافًا لقومه واحترامًا لابنه – لأن ابنه كان مؤمنًا صادقًا – وإطفاءً لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك. وقد كان ظهرت مبادؤها من سعد بن عبادة ومن قومه – كما في صحيح مسلم.

(٤) كان رسول الله ﷺ قد انتزع منه السيادة حين سأل بني سَلِمَة: "من سيدكم يا بني سَلِمَة؟"، فقالوا: الجد بن قيس، على بُخْلِه، فقال رسول الله ﷺ: "وأي دَاءٍ أكبر من البخل؟!؛ بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور"، وقيل: عمرو بن الجموح؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٦٢، ١٦٣؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٩١.

لي ولا تفتني؛ فإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر ألا أصبر، فأذن له رسول الله ﷺ، فنزلت في الجد بن قيس: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١).

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ؛ زهادة في الجهاد، وشكًّا في الحقّ(٢)، فنزلت فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾(٣)، وبعد أن خرج ابن أبيّ في رهط من المنافقين وعسكر في ذِباب(٤)، حتى إذا سار رسول الله ﷺ متوجهًا إلى تبوك، تخلف عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرِّيَب(٥).

ولما رجع رسول الله ﷺ قافلًا من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله أُناس من المنافقين، فتآمروا أن يطرحوه في عَقَبة في الطريق، ولكن الله أخبره ونجاه من كيدهم(٦)، وقال فيها الله -عز وجل: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٧).

ولما توفي عبد الله بن أبيّ بن سلول، دُعِي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، وقف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: "يا رسول الله، أتصلي على عبد

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ٨٩؛ الإمام عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، ج٧، ص ٣٠٦.

(٣) التوبة: ٨١.

(٤) **ذِباب:** جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٣.

(٥) ابن عبد البر: الدرر، ص ٢٥٥.

(٦) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١٤، ١٤٠٧ = ١٩٨٦م، ج٣، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

(٧) التوبة: ٧٤.

الله بن أبيّ؟! القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا"، ورسول الله ﷺ يبتسم ويقول: "أخِّر عني يا عمر، إني خُيِّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[١]، ثم قام رسول الله ﷺ بالصلاة على عبد الله بن أبيّ بن سلول ومشى معه، وقام على قبره حتى فرغ منه[٢]، وما كان إلا يسيرا حتى نزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٣]، وبوفاة ابن سلول فقد المنافقون رأسهم المفكر وعقلهم المدبر، وانكسرت شوكتهم، وأصبحت الأعمال النفاقية أعمالًا فردية، لا تؤثر على مسيرة الدولة الإسلامية الناشئة.

تاريخ قبيلة الخزرج من عام ١هـ حتى عام ١١هـ

كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في تاريخ الإسلام، ويمكننا القول إن الرسول ﷺ قد أعطاهم مساحة كبيرة لتأكيد هذا الدور المهم، فنجد رسول الله قد استعمل سعد بن عبادة على المدينة في غزوة الأبواء، وهي أولى غزواته ﷺ[٤]، واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على المدينة في غزوة بدر الموعد[٥]، وقيل استخلف عبد الله بن رواحة الخزرجي[٦].

وكان من جملة رسله ﷺ حبيب بن زيد من بني مبذول، ثم من بني النجار، أرسله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فقتله مسيلمة بعد أن قطع يديه ورجليه حتى

---

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١١١.

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٠.

(٥) **بدر الموعد:** كانت بعد غزوة أحد؛ عندما تواعد أبو سفيان لقتال المسلمين، ولكنه عاد إلى مكة دون قتال؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ٨٢.

(٦) الواقدي: المغازي، ص ٣٨٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٤٨٧.

يشهد أنه رسول الله[١]، ومن رسله - أيضًا - سَلِيط بن قيس من بني مازن، أرسله إلى هَوْذة بن علي الحنفي، ملك أهل اليمامة؛ يدعوه إلى الإسلام[٢].

وروي عن أنس بن مالك أن قيس بن سعد بن عبادة، كان من النبي ﷺ بمكان صاحب الشرطة من الأمير[٣]؛ كما كان رسول الله ﷺ يستعمله على جمع الصدقة[٤]، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ[٥]، وقد حدث في غزوة الغابة، أن قام سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة خمس ليالٍ حتى رجع النبي ﷺ، وبعث إلى النبي ﷺ بأحمال تمر وبعشرة جزائر، وكان في الناس قيس بن سعد، وهو الذي قرَّب الجُزُر والتمر إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا قيس، بعثك أبوك فارسًا، وقوى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو، اللّهم ارحم سعدًا وآل سعد"، ثم قال: "نعم المرء سعد بن عبادة"[٦].

وقد كان الكثيرون من أهل يثرب من الخزرج يكتبون ويقرأون عند ظهور الإسلام، ذكروا فيهم: المنذر بن عمرو الساعدي، وأبيّ بن كعب من بني حُديلة، وزيد بن ثابت النَّجاري، ورافع بن مالك الزرقي، وأوس بن خولي من بني الحُبْلَى، وبشير بن سعد من بني مالك الأغر، وسعد بن عبادة الساعدي، وعبد الله بن أبيّ بن سلول من بني الحُبْلَى، وسعد بن الربيع من بني حارثة[٧].

وكان أول من كتب لرسول الله ﷺ بعد الهجرة النبوية، هو أبيّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: "وكتب فلان"، وكان أبيّ بن كعب إذا لم يحضر دعا رسول الله

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٦٧٥.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ص ١١٨؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٢١٣.

(٣) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٩، ص ٦٥؛ ابن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، دار المعارف، مصر، (د - ت)، ج١، ص ٢٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٠٢.

(٤) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٦٩.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢٥٤.

(٦) الواقدي: المغازي، ص ٥٤٧.

(٧) جواد علي: المصدر السابق، ج٨، ص ١١٤.

ﷺ زيد بن ثابت، فكتب له، فكان أبيّ وزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يكتبان الوحي بين يديه، ويكتبان كتبه إلى من يكاتب من الناس، وما يُقْطِع وغير ذلك[١]، وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة لكتابة الوحي[٢].

ولقد برع بعض الخزرجيين في الفتوى في عهد رسول الله ﷺ، فعن سهل بن أبي حَثْمَة قال: "كان الذين يفتون على عهد رسول الله ستة نفر، منهم ثلاثة من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومُعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت[٣]، الذي كانت تنسب إليه الفرائض"[٤]. كما سمى صاحب (المحبر) من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، فكان منهم من الخزرج خمسة: "أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، وأبيّ بن كعب[٥]"، الذي قال له رسول الله: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك"[٦]، وزيد بن ثابت، الذي سماه أبو هريرة "حبر هذه الأمة"، وكان عالمًا بالقضاء والفتوى، ومن علماء الصحابة، وهو الذي تولى قسم غنائم موقعة اليرموك[٧].

ولقد كان الصحابة الخزرجيون يعلمون المسلمين القراءة والكتابة، فعن عبادة بن الصامت قال: "علمت ناسًا من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فأهدى إلي رجل منهم قوسًا"[٨]؛ كما كان لأحد الصحابة الخزرجيين الفضل في أن يُقِر رسول الله ﷺ أهم القواعد التي بُنِيَ عليها الفقه الإسلامي، قديمًا وحديثًا، ألا وهي قاعدة الاجتهاد، فعن

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٦٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٥٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ١٧٠؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ١٣٧.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٠.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٠٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٩، ص ١٣٠.

(٤) ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٥٠.

(٥) ابن حبيب، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٢٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣.

(٨) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية، (ب – ت)، ص ٣٨٢.

معاذ بن جبل، قال: "لما بعثني رسول الله إلى اليمن، عاملا على الجند - موضع باليمن - قال لي: بم تقضِّي إن عرض قضاء؟ قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قلت:أقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قلت: أجتهد رأيي ولا آلو!، فضرب رسول الله ﷺ صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله"(١). كذلك كان للخزرجيين حرص على العلم؛ فقد رُوِي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة السلمي سألا رسول الله ﷺ: "ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي، ثم ينقص حتى يعود كما بدأ،لم لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟"(٢)، فنزلت الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(٣).

وفاته ﷺ:

كانت وصية رسول الله ﷺ في مرض موته أن أوصى بالأنصار، فقال: "يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا؛ فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عَيْبَتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"(٤)، فلما قبض رسول الله ﷺ حضرت الأنصار وأرادوا غسله، فنادت على الباب: الله الله؛ فإنا أخواله فليحضر بعضنا، فقيل لهم اجتمعوا على رجل منكم، فأجمعوا على أوس بن خولي الخزرجي، أحد بني الحُبْلَى، فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ

---

(١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٠٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٤٤٨.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، ج٥، ص ١٢٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٧٤.

(٣) البقرة: ١٨٩.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٥.

ودفنه مع أهل بيته[١]، وحفر قبره أبو طلحة زيد بن سهل النجاري، ولم يكن بالمدينة من يحفر غيره[٢].

وهكذا، فإن دخول قبيلة الخزرج في الإسلام - بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية - كان مُمَهِّدا لأن تحتل القبيلة دورًا ذا أهمية كبرى في تاريخ المدينة؛ حيث وصل عدد من شارك منهم في الغزوات نسبة كبيرة، بلغت أكثر من النصف في كثير من الغزوات، وخاصة غزوة بدر التي حضرها من الخزرج مائة وسبعون رجلًا.

كما كان لهم دور في السرايا التي بثها رسول الله ﷺ في أنحاء شبه الجزيرة، وتولوا القيادة فيها، وقد كان منافقو المدينة – بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول – سببًا في حدوث بعض القلاقل داخل المدينة، وخاصة مع الأوس والمهاجرين، حتى استطاع الرسول ﷺ أن يُحَيِّد تلك الفئة، ويوطد أركان دولة الإسلام في المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ، فزادت المدينة أهمية، وبلغت شهرتها الآفاق؛ لدفن رسول الله ﷺ بها.

***

(١) نفسه، ج٤، ص ١٨٥؛ ابن عبد البر: المصدر السابق، ج١، ص ٧٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢١.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٢٧؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٢.